إصدارات حوزة العالمين

إصدار 5

إثارات قرآنية

الجزء الأول

الطبعة الثانية
منقحة ومزيدة

تأليف
حسين الشيخ أحمد آل عصفور

محفوظة
جميع الحقوق

الطبعة الثانية
1437هـ - 2016م

صورة الغلاف لمرقد علامة البحرين الشيخ حسين آل عصفور بالشاخورة - مملكة البحرين

الموقع: www.alasfoor.org
البريد الإلكتروني: alalamainhy@gmail.com

المكتب: 77344771 +973
فاكس: 644170 +973
صندوق بريد: 40087
العنوان:
مبنى: 686
طريق: 5425
مجمع: 754
مملكة البحرين – بوري

رقم الإيداع بإدارة المكتبة العامة
709 / د.ع / 2015

رقم الناشر الدولي (ISBN)
978 - 99958 - 75 - 16 - 9

5

إصدار

إصدارات الحوزة العلمية

إثارات قرآنية

الجزء الأول

الطبعة الثانية
منقحة ومزيدة

تأليف

حسين الشيخ أحمد آل عصفور

هوية الكتاب:

* الكتاب: إثارات قرآنية – الجزء الأول.
* المؤلف: حسين الشيخ أحمد آل عصفور.
* الطبعة: الثانية ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.
* الناشر: حوزة العلمين.
* التنسيق والإخراج الفني: الكليم جرافكس:

نقال: 36778827

البريد الإلكتروني: mohd.he@gmail.com

إهداء

إلى من تشربا حبَّ الحسين عليه السلام

والديّ رحمهما الله

الخطيب العلامة الشيخ أحمد العلامة الشيخ خلف آل عصفور

والملاية فاطمة العلامة الشيخ إبراهيم العلامة الشيخ ناصر آل مبارك

حول مشروع حوزة العلمين

تُعدُ «**حوزة العلمين الشيخ يُوسُف وَالشيخ حُسين آل عصفُور**»[1] إحدى الحوزات البحرانية البارزة والنشطة في رَفدِ الشأن الديني والاجتماعي والثقافي في بِلادنا البحرين.

ومرجعُ ذَلك عائدٌ لِما تتميز به مِن شَخْصياتٍ عِلميةٍ، وَطلبةٍ مُجدين، مُساهمين في التبليغِ الديني وَنشرِ عُلوم الرسول الأكرم وآله «صلوات الله عليهم أجمعين».

وَلقد تعددت مجالات العملِ والمساهمة نوعاً وكماً، وكان آخِرُها- وليس أخِيرُها-مشروع النشر والطباعة تحت مسمى «**إصدارات حوزة العلمين**» والذي نال صدىً وقبولاً حَسناً عِند المُشتغلين في الشأن الحوزوي والأكاديمي.

١- نسبةً للعلمين: المحقق البحراني الشيخ يوسف آل عصفور صاحب (الحدائق الناضرة)، والعلامة الشيخ حسين آل عصفورصاحب (سِداد العباد) قدس سرهما، لمؤسسها العلامة المرحوم الشيخ أحمد الشيخ خلف آل عصفور، والتي تقع في منطقة بوري، تأسست عام ١٩٩٣م.

وَيُعدُ هَذا المشروعُ رَائداً في البحرين، لأننا لا نَجدُ شبيهاً لَهُ في الحوزاتِ الدينية المباركةِ، وَهَذا لا يَعني التقليل من شأنِها وَوجودها، فكلُ حَوزةٍ لها عَملُها وَنشاطُها الخاص لِنشر علومِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فكم مِن حَوزةٍ سَاهمتْ في طِباعةِ كِتابٍ بَل كُتبٍ قبل سنةٍ أو سنوات والهدفُ مِن وَراءِ ذلك إما الطباعة للكتب التراثية أو المناهج التعليمية.

وَهذا هَو الفارقُ الجلي بَين هَذه الأعمال المنشورة وبين العمل المؤسسي كَمشروعٍ يَمتلكُ الرؤية والسمات، والذي تصدتْ لهُ حَوزةُ العلمين.

وقد انبثقت فكرة المشروع بتوجيه من: **سماحة العلامة الشيخ أحمد بن العلامة الشيخ خلف آل عصفور** (رحمهما الله)، وذلك إيماناً منه بقيمة العلم ودور الكتاب في التبليغ الديني كإحدى وظائف الحوزة العلمية.

وإنّ بداية المشروعِ كانت مَع إصدار العدد الأول من السلسلة والذي حَمل عُنوان «**بحُوثٌ فِقْهَيّة**» للعالمِ الفاضل الشيخ علي المخلوق، ثم كتاب «**التَذكيةَ بالحَدِيد**» للعالم الجليل الشيخ علي آل مبارك سنة ٢٠١٤م، وكان الإصدار الثالثُ للشيخ محمد جعفر الدرازي وعنوانه «**تيَسيرُ الَصّرفِ**» في السنة نفسها، وَصدر العددُ

الرابـع في السـنةِ نفسـها أيضـاً وهـو جُـزءٌ ثـانٍ للكتـاب الأول.

وَيَسـتمرُ المـشروعُ مَع الإعـدادِ النهائـي للإصدار الخامـس والذي طَـال انتظـارهُ وَهـو كتـاب الأخ الباحـث في الشـأن القرآني حسـين آل عصفـور، وعنوانـه «**إثـارات قرآنيـة – الجـزء الأول**» وَقَـدْ حَـرّرَه مُنـذُ سَـنواتٍ عِـدة، وَلَمْ يَنـشرهُ إلا الآن، بَعـد تَكـرارِ طَلبـةِ العِلـمِ لِتقديمـهِ ضمن هـذه السلسـلة.

إنّ هَـذا العـرض لِمَـا صَـدر مِـن أعـدادِ المـشروع يَدفعُنـا للِحديثِ عَـن سِـماتهِ، وَالتـي نجملهـا فيـما يأتي:

❖ **أولاً**: إن هـذا العـدد من الإصداراتِ يُعزز سـمة التقدم والدوام للمـشروع، ولا يمكن إطلاق كلمة مشروعٍ عَـلَى إصدارٍ واحد.

❖ **ثانيـاً**: نَلحـظُ الفـترة الزمنيـة وَالتـي تُقـدرُ بِسـنةٍ وَنصـف، وَكانـت ثمرتهـا خَمسـةَ أعـدادٍ، وهي سـمة النشـاط والعمـل الدؤوب عَـلَى المواصلـةِ، وَتحْقيـقِ أكـبرِ حَجـمٍ مـن الإنتاجيـة وبجـودة متقنـة قـام الباحـث حسـين الشـيخ أحمـد آل عصفور والشـيخ عبـدالله جعفر آل ضيـف والشـيخ محمـد حسـن آل إبراهيـم بالمتابعـةِ والضبـطِ لهـذه السلسـلة وهـذا يتطلـب جهـداً مضاعفـاً لأن الـكادر قليـل بالنسـبة للإنتـاج ونوعيتـه.

❖ **ثالثـاً**: التنـوع في الموضوعـات المنشـورة فَقَـد نُـشِرَتْ في الفقـهِ

ثَلاثـةُ كُتبٍ، وفي الـصرفِ كِتابٌ، والذي بين يديك مُتعلقٌ بِالدراسـاتِ القرآنية.

❖ **رابعـاً**: التنـوع في المؤلفـين، فَقَـدْ نُـشِرَ لِلمخلـوقِ كِتابـان، وَلِلمبـاركِ كتـابٌ، وَلِلـدرازي كِتـابٌ، والآن يُنـشرُ لِلعصفـوُرِ كتاب.

❖ **خامسـاً**: إن أغلـب مـا طبع يتـم توزيعه ونـشره عَـلَى الحوزاتِ الدينيـةِ، وطـلاب العِلـم، وقـراء المجتمـع، ويَنتُـجُ مِـن ذلـك تعميـم وتوسـيع دائـرة المتلقّـين للمـشروع.

وَخِتامـاً، نضـعُ آمالنـا في يَـدِ القائمين عَـلَى هذا المـشروع، وَندعو لهـم بالموفقيةِ والاسـتمرارِ وَالْحَمْـدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الجمعة ١٣-نوفمبر-٢٠١٥م
٢٩-محرم-١٤٣٧هـ
عارف الموسوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾. (سورة طه: الآية ٢٥)

«اللّهُمَّ افْتَحْ عَلَيْنا أَبْوابَ رَحْمَتِكَ وَانْشُرْ عَلَيْنا خَزائِنَ عُلُومِكَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ».

مقدمة الطبعة الثانية

الطبعة الأولى كانت في نهايات شهر فبراير لعام ٢٠١٦ ولكنها نفدت في غضون شهرين، نظراً للإقبال الحثيث عليها، وهذا توفيق منه سبحانه وتعالى وله الحمد والمنّة.

وهذه الطبعة الثانية التي بين يديك عزيزي القارئ في السنة نفسها للطبعة الأولى، وفيها بعض الزيادات والتوضيحات عما كان في الطبعة السابقة، ونتمنى من الله العلي القدير أن تكون بالمستوى المعهود قبلاً، وأن تنال رضاكم وتعمّ بها الفائدة.

هناك تساؤلات تدور في خلد قراء كلام الله سبحانه وتعالى من خلال تلاوتهم لآياته، وهذا أمر طبيعي[١].

١- نظراً لكون كلام الله سبحانه في غاية الإتقان، وقمة البيان والإحاطة من جهة، ومن جهةٍ أخرى بعدنا عن ذلك المستوى في الخطاب الراقي أكثر من ذي قبل، يجعل عقولنا -في الوقت الحاضر- أقل استيعاباً، ما يؤدي إلى تراكم التساؤلات التي تحتاج لمزيد من التمعن والتبصُّر في كلامه سبحانه وتعالى.

وهي في مواطن كثيرة منها:

ما ورد في سورة يوسف عليه السلام:

* هل يعلم يعقوب عليه السلام بما يدبّر أبناؤه للأخوين الصغيرين، فإذا كان كذلك لماذا لم يمنعهم؟ وكيف نتعقّل مبرّر الأب لتلقين أبنائه حيلة الذئب من الأساس؟[1] وحين رجوعهم بدون يوسف لم يصرح بحقيقة افترائهم الملفّق، واكتفى بالتلميح؟ ثم كيف سلّم لهم بنيامين فيما بعد، مع أنهم قد فرّطوا في يوسف قبلاً؟

* هل أخذ الإخوة باقتراح أحدهم بالجبّ من البداية أم لا؟ ومن الذي غير فكرة القتل إلى ما آل إليه يوسف؟[2]

* كيف نتعقّل كون كيد الشيطان ضعيفاً مع أنه أغوى كثيراً من الخلق؟[3]

* القرآن في بعض آياته يصرّح بأن يوم القيامة قريب! بينما هناك أجيال انصرمت وتلتها أجيال، ولم تقم الساعة! فكيف نفهم معنى القرب هنا؟[4]

* كان يوسف عليه السلام يدرك أنهم إخوته حينما دخلوا عليه وهو

١- انظر الإثارة الخامسة.

٢- انظر الإثارة الرابعة.

٣- انظر الإثارة الرابعة.

٤- انظر الإثارة العاشرة.

متربـع عـلى العرش، لمـاذا لم يكشـف لهم هويته مـن بدايـة الأمر؟[١]

* هـل كان بـكاء يعقـوب عَلَيْهِ السَّلَامُ مـن حـين فقـد يوسـف كـما هو الشـائع، أم لا؟![٢]

* روايـات كثـيرة لا نتعقّــلها مـن الوهلـة الأولى، ما هـو الموقف الأنسـب للتعامـل معها؟[٣]

* ليـس هنـاك مـبرّر للحـيرة بـين المفسريـن في معرفـة القائـل وتحديـده، مـادام السـياق لا يحـوي لفظـة (قـال)[٤].

وغيرهـا الكثـير من التسـاؤلات التي تطـرأ على الذهـن للوهلة الأولى، والتـي تجـد تخريجاتهـا المنطقية والمعقولـة بين دفتي هـذا الكتاب.

منهجية المؤلف في هذا الكتاب

تجـد ضمن هـذه الوريقـات مجموعـة مـن الإثـارات المتفرقة وهي نتـاج أول محـاولاتي للتأمـل، ولقـد عدَلـتُ -في بعضهـا - عـن طريقة الـسرد إلى طريقـة السـؤال والجـواب لغرضين:

الأول: ترسـيخ المعلومـات وتهذيـب الأسـلوب وتيسـيره بقـدر الإمكان ليكون مناسباً للقراء على اختلاف درجاتهم في الثقافة والوعي.

١- انظر الإثارة السابعة.

٢- انظر الإثارة الثامنة.

٣- انظر الإثارة الحادية عشرة.

٤- انظر الإثارة الأولى.

الثاني: ترك مساحة مفتوحة لقناعات القارئ، فلست هنا لفرض قناعات معينة، فقد لا أوفق في إقناع القارئ بالإجابة عن بعض الإثارات بما يتوافق مع ما يراه ولكن يبقى السؤال بحد ذاته منبعا لأجوبة أخرى محتملة، وقد يكون القارئ أبصر مني للجواب وحصول المراد فتكون إثارتي تلك مدعاةً ودافعاً للتدبر عنده، وبذلك لا يخلو هذا الأسلوب من فائدة إن لم تكن فوائد.

إثاراتي تلك ... والقرآنية منها بالخصوص قد تجدني أناقش ما دأب عليه المفسرون، إما على صعيد النتيجة أو على صعيد الاستدلال أو كليهما.

وهذا لا يعني تجاهل أو مصادرة نتاجهم، فكل الإجلال لجهودهم في تفسير القرآن الكريم...

ولكن أليس القرآن كتاباً كريماً في عطائه، ومناهلهُ متاحةٌ وأبوابه مشرعة لكل متدبِّر!

ختاماً.. وأنا إذ أقدم لكم عصارة تأملاتي؛ أتمنى على القارئ الكريم ألا يُغفل متابعة ***هوامش هذا الكتاب*** لما تحتويه من تنبيهات وإشارات تفتح آفاقاً جديدة، لاتقل أهميةً وإثارةً عما في المتن... أسأل الله سبحانه وتعالى أن يقضي القارئ بها وقتاً مليئاً بالفائدة ومتعة المعرفة.

والله الموفِّق

المؤلف

1 الإشارة الأولى

فَائِدَةٌ بِمَثَابَةِ القَاعِدَةِ فِي التَّفْسِيرِ

فائدة بمثابة القاعدة في التفسير

لما أن وصل التأمل بي للآية الثانية والخمسين من سورة يوسف في قوله تعالى ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ورجعتُ لأقوال المفسرين فيها استوقفني ما رأيته من اختلافهم، في جهة القاصد منها والمقصود فيها، فمنهم من اختار بأنها من تمام كلام امرأة العزيز، وقائل بأنها كلام مستأنف لنبي الله يوسف عليه السلام.

فقلتُ في نفسي إن هذا الكتاب الذي عجزت العقول عن مجاراته، لدقته وإتقانه وجودة سبكه، هل من المعقول أن يكون قد أغفل هذا الجانب المحوري وجعل القارئ يقع في حيرةٍ في تحديد من القائل؟ لدرجة أنه حتى ذوو الاختصاص وهم علماء التفسير لم يسلموا من هذا الالتباس ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[1].

١- سورة ص: الآية ٥.

والاختلاف بينهم في آية سورة يوسف واقع في تحديد القاصد والمقصود فيها، ومواطن النزاع عند المفسرين لم تكن مقتصرةً على الآية السابقة، وإنما في مواضع عِدة أورد منها أربعة:

أعرضها ثم أرجع إليها مع المناقشة.

* **الأنموذج الأول:** ما ورد في سورة النمل الآية ٣٤ وهو قول بلقيس ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، وموقع الخلاف فيها بشأن ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

* **الأنموذج الثاني:** ما ورد في سورة يس الآية ٥٢ ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾، فجملة ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ ...﴾، من هو قائلها؟

* **الأنموذج الثالث:** قوله في سورة آل عمران الآية ٣٦ ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾، فالتعبير بـ ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ هل هو من الله تعالى أم غيره؟.

* **الأنموذج الرابع:** وبالإضافة للموطن السابق من سورة يوسف الآية ٥٢ ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾.

لأجل ذلك عَقَدْتُ العزمَ حينها لمحاولة إيجاد مخْرج وأمر يحسم هذا الاختلاف بين المفسرين، فعَمَدْتُ لاستقصاء

جميـع آي القـرآن الكريـم، وخصوصـاً مواطـن الاختـلاف بهـذا الشـأن، أمـلاً منـي في إيجـاد نقطـة تفصـل النـزاع.

وفعـلاً، وبعـد توفيقه سـبحانه وله المنّة؛ وجدت أمـراً مهـماً للغاية وهـو مانـع لوقـوع الالتبـاس، ومـا أثـار دهشـتي - واقعـاً - أنـه وعـلى رغـم وضوحـه، إلا أننـي لم أجـد من المفسريـن من تنبَّـه لهُ[1].

وكـم كنـت أتمنـى لو أنهـم تنبَّهوا لهـذا الأمر لأنـه سـيكفيهم المؤونة والحِـيرة، ويجنبهم الوقـوع في متاهات.

وهـذه فائـدة اسـتفدتها مـن التأمّـل والتدبّـر في آي القـرآن الكريم، وأسـتطيع القول بأنهـا قاعدة عامـة نافعة لمواطن الاختـلاف لهذا النمط، فعنونتهـا بـ(**فائـدة بمثابـة القاعدة**) وهـي علامة لتحديد القائل بسـهولة ويـسر لـكل باحث في الشـأن القرآني، بل وحتـى القارئ للقـرآن الكريم يمكنـه الاسـتعانة بهـا إذا التبس عليـه الأمر، لسـهولتها ووضوحها.

والقاعدة هي:

إذا كانـت الآيـات في مقـام سرد حكاية أو حوار بـين أطراف لابد مـن لفظـة ﴿قـال﴾[2]، لتغيـير جهـة الـكلام من طـرف لآخـر، وإذا خـلا السـياق من لفظـة ﴿قـال﴾ يبقى الـكلام لقائله السـابق.

١- وهذا ليس مصادرة لجهود المفسرين رحم الله الماضين وأيد الباقين.

٢- وعـلى حسـب الضمـير السـابق بالسـياق يتحـدد الضمـير [قالـت للأنثـى، قـالا للمثنـى، قالـوا للجمـع...] وهـذا أمـر واضـح لا داعـي لـسرده بالأمثلـة للقـراء.

تنبيه مهم:

قبل الاسترسال في الاستدلال والمناقشة، أقول لدفع الإشكال قد يقول قائل: القرآن الكريم كلام الله سبحانه وهو الأصل، فإذا كان السياق لنقل كلامه سبحانه فلا حاجة للفظة ﴿قال﴾.

وللجواب:

إشكال لا بأس بِه ولكن، فلننظر ونتأمّل معاً بعض النماذج بشكل سريع:

١- مثلاً المحاورة بين الله سبحانه والملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1] إلخ.

٢- وحواره مع آدم عليه السلام في مواطن متفرقة في القرآن الكريم ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾[2].

٣- انظر للحوار بينه سبحانه وكليمه عليه السلام ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى* قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى* فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ

١- سورة البقرة: الآية ٣٠.

٢- سورة البقرة: الآية ٣٣.

﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى﴾[1].

٤- المحاورة بينه تعالى وبين إبليس الرجيم ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[2].

ونماذج كثيرة أخرى تدل على أنَّه لتغيير أي حوار لابد من لفظة ﴿قال﴾ ومشتقاتها لتغييره، وإلا فما بال السياق احتاج للفظة ﴿قال﴾ هنا، على الرغم أن الصياغة لله تعالى؟![3] كما يقرره الإشكال.

والنتيجة

أنه حتى في حالة نقل الكلام من الله تعالى احتيج في السياق

١- سورة طه، آية ١٨، تأمل معي فبالرغم من أن الكلام لم ينتقل لجهة أخرى، ومع ذلك جاءت لفظة (قال) لأن هناك فاصلاً بين القولين وهو فعل موسى عليه السلام بإلقائه العصا، فكرر لفظة (قال) فمن باب أولى أن تأتي في حال تغيير جهة الكلام.

٢- سورة ص الآية ٧٥.

٣- وللمزيد انظر سورة البقرة: الآية ١٢٤، والآية ١٣١، سورة آل عمران: الآية ٥٥، والآية ٥٩، سورة المائدة: الآية ٢٦، والآية ١١٠، والآية ١١٥، والآية ١١٩، سورة الأنعام: الآية ٣٠، والآية ١٢٨، سورة الأعراف: الآية ١٢، لغاية الآية ٢٥ منها، والآية ١٤٣، والآية ١٥٦، سورة مريم: الآية ١٠... وغيرها مواطن كثيرة جداً فيها حوار جرى بين الله تعالى وبين مخلوقاته ومع ذلك لم يخلُ السياق من لفظة ﴿قال﴾ في حال تغير جهة القائل.

للفظة ﴿قال﴾ للإشارة إلى تغيير جهة المتكلم، بشرط كون المقام يحوي حواراً.

الآن ... وبعد دفع هذه الإشكالية نرجع لأصل المطلب:

فلو ألقينا نظرة على الحوار الذي نقلته الآيات بين موسى عليه السلام وفرعون في سورة الشعراء من آية ١٦ لغاية آية ٣١.

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * [أي موسى وهارون] أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ [فرعون] أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ [أي موسى] فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ [أي موسى] رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ *قَالَ [أي فرعون] لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ [أي موسى] رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ * قَالَ [أي فرعون] إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ [أي موسى] رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ [أي فرعون] لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ [أي موسى] أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ * قَالَ [أي فرعون] فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ...﴾.

* من الملاحظ أن لفظة ﴿قال﴾ تأتي في كل مرة تتغير فيها جهة

الكلام، أو طـرف المتكلم.

* وهـذا الأمـر ليـس مقتـصراً عـلى الموطـن الـذي مـرّ، وإنـما هـو ديـدن السـياق القرآني كـكل.

والآن لنطبـق هـذه القاعـدة عـلى النـماذج الأربعـة السـابقة؛ لتتـم الفائـدة وتظهـر الثمـرة.

الأنموذج الأول:

وهـو قولـه تعـالى في سـورة النمـل الآيـة ٣٤ نقـلاً عـن مضمـون كلام بلقيـس:

﴿إِنَّ الْمُلُـوكَ إِذَا دَخَلُـوا قَرْيَـةً أَفْسَـدُوهَا وَجَعَلُـوا أَعِـزَّةَ أَهْلِهَـا أَذِلَّةً وَكَذَلِـكَ يَفْعَلُـونَ﴾ مـن هـو قائـل ﴿وَكَذَلِـكَ يَفْعَلُونَ﴾..

اختلف فيها في وجهين:

* هل كانت على لسان بلقيس.

* أو هو تقرير وتعقيب من الله تعالى على كلامها السابق.

أقول:

أ. فلننظـر هنـا هـل ﴿وَكَذَلِـكَ يَفْعَلُـونَ﴾ كان قبلها قرينـة مقالية تشـير لتغيـير جهة القائـل أم لا؟

فهـو حـوارٌ دائـر بـين بلقيـس وحاشـيتها، وبنـاءً عـلى القاعـدة أن

تكـون هنـاك لفظـة قـال إذا تغـيرت جهـة الـكلام، ومـن الواضـح لا وجـود لهـا هنا، فيبقى الـكلام كلام القائل السـابق ولا حاجـة للحِيرة، وهـو كلام بلقيـس بـلا ريب.

ب. كـما أورد هنـا أدلـة أخـرى إضافيـة على أنهـا مـن كلام بلقيس وليـس تعقيبـاً منه سـبحانه:

* أن لفظـة (كذلـك) أصلهـا (ذلـك)، والـكاف في كـــ ذلـك للتشـبيه، ومن أغراضها البلاغيـة أنها تأتي للربط بين جملتين تـــتشابهان في المقدمـات، وتـــتحدان في الناتـج.

ولتوضيحه أقول:

بـدل قـولي (جاء نـاصر وأعطـاني الكتـاب، وجـاء جابـر وأعطاني الكتـاب) أقـول (جـاء نـاصر وأعطـاني الكتـاب، وكذلـك جابـر)، فـــ كذلـك هنـا اختزلـتُ فيهـا هـذا المعنى، فـلا أحتـاج معهـا لإعادة الجملـة بعينهـا واكتفيـت بـ كذلـك، وهي بمعنـى [مثل ذلـك]، وعليه لـو رجعنا للآيـة وعزلنـا ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُـونَ﴾ من سـياق كلام بلقيس السـابق، لتقـرر أنـه غير تـام، فالقاعـدة التـي قالتهـا وهـي ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُـوا قَرْيَـةً أَفْسَـدُوهَا وَجَعَلُـوا أَعِـزَّةَ أَهْلِهَـا أَذِلَّـةً﴾ تكـون قاعدة معلقـة، أمـا إذا أدخلنـا مـا بعدهـا ﴿وَكَذَلِـكَ يَفْعَلُـونَ﴾، وقلنـا أنـه مـن كلامهـا، عندهـا يصبـح كلامهـا كلامـاً تامـاً، لأنـه يحتـوى عـلى

قاعـدة أو كليـة يتبعهـا مصداق لتلـك الكليـة والقاعدة، وكـما تقرر في التوضيـح السـابق يتقـرر هنا أيضاً، فبـدل قولهـا ﴿إِنَّ الْمُلُـوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَـةً أَفْسَـدُوهَا وَجَعَلُـوا أَعِـزَّةَ أَهْلِهَـا أَذِلَّـةً﴾ (وهـؤلاء أيضـاً يفعلون ذلـك، فـإذا دخلـوا قريتنـا يفسـدونها ويجعلون أهلهـا أذلـة)، وبهذا أن ﴿وَكَذَلِـكَ يَفْعَلُـونَ﴾ اختزلت المقدمة مع النتيجـة، أي وكذلك هؤلاء يفعلـون بنـا ذلك[1].

الأنموذج الثاني:

مـا ورد في سـورة يـس الآيـة ٥٢ ﴿قَالُـوا يَـا وَيْلَنَـا مَـن بَعَثَنَـا مِـن مَّرْقَدِنَـا هَـذَا مَـا وَعَـدَ الرَّحْمَـنُ وَصَـدَقَ الْمُرْسَـلُونَ﴾ فـ ﴿هَذَا مَـا وَعَدَ الرَّحْمَـنُ وَصَـدَقَ الْمُرْسَـلُونَ﴾.

فمن هو القائل لها! وقع الاختلاف في تحديد القاصد في ثلاثة:

١- أهم الملائكة؟

٢- أم تقرير وتعقيب من الله سبحانه؟

٣- أم هو المقبور بعد البعث؟

نرجـع للقاعدة المذكورة لفظة ﴿قال﴾، إذا لم تأتِ في السـياق فيبقى

١- هنـاك دليـل آخـر ظهـر لي عند التمعـن وأذكـره هنا لتتـم بـه الفائـدة: ﴿كَذَلِكَ﴾ إذا كانـت مـن الله تعـالى فهي تعنـي تأييـداً غيبيـاً، وعليه فلا يمكـن القول بـأن القائل لــ ﴿وَكَذَلِـكَ يَفْعَلُـونَ﴾ هـو الله تعـالى، لأنه يلـزم منـه أن الله هو الذي يؤيد ويسـاند فعـل الملوك المفسـدين في الأرض.

الكلام لقائله السابق، وعليه ينتفي الاحتمالان الأول والثاني ويبقى الثالث وهو أنها من كلام المقبور بعد البعث لأن الأصل أن السياق يقتضيه، ولا دليل سياقي يدل على تغيير جهة الكلام هذا **أولاً**.

وثانياً: لو سلمنا بالاحتمال الأول ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ من الملائكة، لكان سياقها كسياق الآية الثالثة والعشرين من سورة سبأ ﴿وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ أو كقوله في سورة النساء الآية السابعة والتسعون ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُواْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ أو على أقل التقادير لكانت كقوله تعالى في السورة نفسها الآية ٢٥ وهو حوار بين حبيب النجار وبين الملائكة أو أي جهة كانت ﴿إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ* قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ* بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ فنلاحظ أنه كلما اختلفت جهة القول لابد من لفظة ﴿قال﴾ أو ما يدل عليها، وإلا فيبقى الكلام لقائله السابق وهو المقبور بعد البعث.

هذا من جهة السياق، أما من جهة المضمون فأقول:

لو كانت من الملائكة فلا وجود لثمرة تترتب عليه عندها.

خلاف ما إذا قلنا إنها من المقبور بعد البعث، فهناك ثمرة

وفائـدة، لأنـه إقـرار منه بـما كان يكذبه من النشـأة الأخـرى، وبما أخبر بـه الرسـل سـابقاً، فتكـون كسـياق قولـه تعـالى: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾[1]؛ فثبـت أنـه لا دليـل في السـياق عـلى تغيـير جهـة الكلام، وبالمضمـون كما سـبق.

الأنموذج الثالث:

قولـه في سـورة آل عمـران الآيـة ٣٦ ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾. فـــ ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ هـل هو كلام امـرأة عمـران أم تعقيب من الله تعـالى[2].

فأقـول: هـذه الآية لا تجري فيهـا القاعدة، لأن مـن شروط القاعدة أن يكـون السـياق يحتـوي عـلى حـوار وهـذه الآية لا حـوار فيهـا، فأمُّ مريـم لم تكـن في صـدد الحـوار فالآيـة نقلـت لنـا كلامها وليـس هناك طرف آخـر ليكون السـياق حـواراً[3].

نعـم... يمكـن الرجـوع لمضمون الآيـة لمعرفة مـن هو القائـل، أما

١- سورة المدَّثر: الآية ٤٦.

٢- هنـاك قـراءة ﴿وَاللهُ أَعْلَـمُ بِـمَا وضعـتُ﴾، ومـع ذلـك فالإشـكال لم يرتفـع، لأن الخـلاف واقـع فيـما بعدهـا، وليـس فيها.

٣- الآيـة ٢١ مـن سـورة الفرقان ﴿وَقَـالَ الَّذِيـنَ لَا يَرْجُـونَ لِقَاءنَـا لَـوْلَا أُنـزِلَ عَلَيْنَـا الْمَلَائِكَـةُ أَوْ نَـرَى رَبَّنَـا لَقَـدِ اسْـتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِـهِمْ وَعَتَـوْ عُتُـوّاً كَبِـيراً﴾.

السياق فلا يسعفنا لأنه لا محاورة فيها هنا، وكلا الفريقين يمكنهما المناقشة بالاستعانة بالمضمون دون السياق[1].

الأنموذج الرابع:

وهو في سورة يوسف ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فلا داعي للحيرة والتردد بين المفسرين في تحديد القائل لهذه العبارة، فما دام السياق خالياً من لفظة ﴿قال﴾ فبكل بساطة يبقى الكلام كلام القائل السابق، فالكلام الذي سبق هو كلام زليخا ﴿قَالَ [أي الملك] مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ [أي النسوة] حَاشَ لله مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ـــ وبعد هذا الكلام ـــ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فلو كان بلسان يوسف كما هو اختيار بعضهم، لكانت الآية هكذا ﴿[وقال يوسف] ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾.

١- لست هنا لتقرير الجهة القائلة، أو ترجيح أحد الأقوال على الآخر بقدر ما أسعى لتطبيق القاعدة السابقة، وبهذا تكون الآية خارج البحث لخلوها من الشرط وهو المحاورة.

هذا لأن آخر عهد لكلام يوسف كان قوله للساقي ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ [يوسف للساقي] ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾، فإذا كان السياق في نقل حوار بين أطراف بلا فاصل يأتي فيه بلفظة ﴿قال﴾ بلا إضافة لتحديد هوية القائل، كما لاحظت معي في سورة الشعراء، وتستطيع ملاحظة هذا الأمر في كل السياق القرآني.

أما إذا كان هناك فاصل طويل بين القولين، أو ليس هناك قول لذلك الشخص في السياق، فلابد من ذِكر القائل وتعريفه مع لفظة ﴿قال﴾ وورد هذا كثيراً[1].

فبعد نقل كلام الملك، وبعده كلام النسوة، وبعده كلام امرأة العزيز، نلاحظ تخلل لفظة ﴿قال﴾ لكل تغيير للجهة، قد تأتي في حالات كثيرة، ولكن كل الحالات ترجع لتغيير جهة الكلام ومنها:

١. تغيير المخاطب مع أنه للمتكلم نفسه، ومثاله ﴿وَإِذَا لَقُوا

١- كقوله تعالى ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ* قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ *وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾، يونس ٧٧، فانظر [قال موسى- وقال فرعون].

فإذا جاء بلفظة ﴿قال﴾ في كل موطن تتغير فيه جهة الكلام، فمن باب أولى أن يأتي هنا في السياق بلفظة ﴿قال﴾ لمّا أن وقع هناك التباس. فتقرر أن السياق يأتي بلفظة ﴿قال﴾ في المواطن التي لا يحتمل فيها وقوع التباس للقارئ، أفيترك ذلك بموطن الالتباس ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾.

﴿الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾[1] مع أن القائلين في الفقرة الأولى هم أنفسهم في الثانية، ولكن السياق جاء بلفظة ﴿قَالُواْ﴾، للتنبيه على أن القول موجه لفئة أخرى غير السابقة وأيضا كما في قوله ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُواْ أَتُحَدِّثُونَهُم﴾[2].

٢. ابتداء المحاورة وهو كثير جداً في القرآن ومثاله ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾[3]، أو كما في قوله ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاَمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ * قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ﴾[4].

* **الأولى:** عند ابتداء المحاورة فلابد من تحديد القائل وصفته.

* **الثانية:** إذا تغيرت جهة الكلام فلابد منها.

* **الثالثة:** إذا طال العهد بالقائل فلابد من تحديده.

فمثلاً: انظر معي ﴿وَقَالَ [أي الساقي] الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ جاء كلام يوسف ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا

١- سورة البقرة: الآية ١٤.

٢- سورة البقرة: الآية ٧٦.

٣- سورة يوسف: الآية ٨٨.

٤- سورة الحجر: الآية ٥٠.

﴿تَأْكُلُونَ...﴾ ثم بعده كلام الملك ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ...﴾، ثم سَرْدُ حَدَثٍ وهو ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾، ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ...﴾، بما أنه جاء السياق بلفظة ﴿قال﴾ فقد تغيرت جهته ليوسف عليه السلام، وهنا لم يحتج لتحديد هوية القائل في ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾ فلم يقل ﴿قَالَ [يوسف] ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾، لأن ما تخللها لم يكن كلاماً في السياق وإنما فعل، وهو رجوع الساقي ليوسف مرة أخرى.

فلاحظ أنه لم تكتفِ الآيات بلفظة ﴿قال﴾ فقط، وإنما جاءت بتحديد القائل أيضاً، وهو الملك.

ومثله كذلك بعد نقل كلام الملك وبعده كلام النسوة جاء دور امرأة العزيز لِلتّكلم، لم تكتفِ الآية بلفظة ﴿قالت﴾ فقط، إضافةً إلى أنها حددت القائل ﴿قَالَ [الملك] مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ [النسوة] حَاشَ لله مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ...﴾ فحددت الآية مصدر الكلام أنه من امرأة العزيز.

فهنا كذلك فلو أن القائل هو يوسف كما يُدّعى لكان السياق ﴿- وقال يوسف - ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ هذا لأن هناك أكثر من جهة سبقته، فخلو السياق من لفظة ﴿قال﴾ بالإضافة لخلوه من تحديد للقائل، دليل واضح أن القائل لهذه العبارة هو امرأة العزيز، وليس يوسف الصّدّيق عليه السلام، كما يختاره بعض المفسرين كصاحب الميزان.

وعليه يبقى الكلام لامرأة العزيز لا محالة، ولا داعي للحِيرة

فليس هناك مبرر لها.

والذي يقول إنه ليس كلامها، هو المُطالب بالدليل الناهض وليس العكس[1].

١- لأنه استدل بعض أرباب التفاسير رحمهم الله كالسيد الطباطبائي في ميزانه ج ١١، ص ١٩٧، وغيره ومحصل دليلهم أن مضمون الاستثناء في ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ﴾ يحوي أمراً دقيقاً، لا يلتفت إليه المنغمس في جو المعاصي-غالباً- وأنّى لمثل امرأة العزيز أن تلتفت لهذا الأمر الدقيق.

أقول: ليس هناك تلازم بين الالتفات لدقائق الأمور وبين الإيمان بالله تعالى، فكم من فاسقٍ يلتفت لأمور دقيقةٍ، والعكس بالعكس، غاية ما في الأمر أنها تكون حجة له إذا كان مؤمناً، وحجة عليه إذا كان فاسقاً، وليس هي كالأثر الوضعي (كالإحساس بالبرودة عند ملامسة الثلج أو الحرارة بملامسة النار)، فلا ملازمة عقلية بينهما، هذا **أولاً**.

ثانياً: لو سلمنا بهذا جدلاً، ليس هناك دليل ينفي توبتها النّصوح في ذلك المجلس، وأن تكون بوادر التوبة بينها وبين الله تعالى قد ظهرت بعد الذي رأته من خلق يوسف الراقي، فإنه لمّا أراد أن يتم فتح ملف التحقيق لإثبات براءته، أشار لمفردة مشهورة بين الناس ولم يُعرّض بها ليصون سمعتها ويحفظ العهد الذي أخذه العزيز عليه برغبته عن الإعراض ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا...﴾ آية ٢٩، مع أنها كانت السبب المباشر لإبعاده في غياهِب السجون لمدة طويلة، ومع ذلك أشار لحدث تقطيع النسوة أيديهن الذي انتشر بين الناس في ذلك الوقت، وبقيت في ذاكرتهم لمدة، وحتى لو كان غير منتشر، فالأهم أنها لا تخدش في سمعة النسوة عند من سمعها، نعم: يمكن أن تخدش بسمعتهن لمن يتقصى دوافعهن، لكن كحادثة مجردة... فلا.

فإن قلتَ: كلامك السابق فيه نظر، وأوضح دليل - باتهام امرأة العزيز كبقية النسوة - هو وجودها معهنّ للتحقيق، وإلا فما هو مبرر وجودها؟=

وأضيفُ، هذا بالنسبة للسياق.

أمـا بالنسـبة للمضمون فمـن البعيد أن يكون هذا كلام يوسـف عليه السلام، فكيـف يقـول كلامـاً مفاده يجعلـه مشـكوكاً فيه عنـد الكل بعـد ثبوت براءتـه للجميع[1] **(فثبوتهـا كان لهم وليس منهـم)** فليتأمل.

= قلـتُ: مـن الطبيعـي أن يتـم اسـتدعاؤها ولكـن ليـس لأنهـا متهمـة، وإنـما بلحـاظ كـون الحـدث -وهـو تقطيـع الأيدي-صـار عندهـا وتنسـيقها لمقدماتـه، فالواضـح أن قـول يوسـف ﴿**مَـا بَـالُ النِّسْـوَةِ الَّـلاتِي قَطَّعْـنَ أَيْدِيَهُـنَّ**﴾، كان لخصـوص النسـوة الـلاتي قطعـن أيديهـن وامـرأة العزيـز لم تقطـع يدهـا، فسـؤال الملـك مـن البدايـة كان موجهـاً لمـن قطعـن أيديهـن وهـو لا يشـملها. فلـما انتهـى المجلـس وأُقفـل بـاب التحقيـق، نطقـت امـرأة العزيـز مـن تلقاء نفسـها واعترفـت، وكان دافعهـا لذلـك مجـازاة يوسـف عـلى جميله لهـا في ذلك الموقـف، لأنه صـان سـمعتها برغـم أن مـا حدث كلـه كان بسـببها.

فـإن قلـتَ: إذا كان الحـال كذلك، فما هـو الدافع لقولهـا ﴿**وَمَا أُبَـرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّـارَةٌ بِالسُّـوءِ**﴾، بعـد كلامهـا بأنهـا هـي التـي راودتـه عـن نفسـه، فهـذه إضافة لا معنـى لهـا حينئذٍ؟

قُلـتُ: فكأنهـا بعـد قولهـا ﴿**الآنَ حَصْحَـصَ الْحَـقُّ أَنَـا رَاوَدتُّـهُ عَـن نَّفْسِـهِ وَإِنَّـهُ لَمِـنَ الصَّادِقِـينَ**﴾ تلفـت الحاضريـن لنكتة هامـة: لا تظنوا بأن مـا قلته بدافع الحـب والهيام ليوسـف، وإنـما أنـا في الواقع من راودته عن نفسـه، وأنا مذنبة واعـترف بذنبي، وليس افتـداءً بسـبب محبتـي إيـاه ولا مجاملـةً، وإنـما في الواقع أنني راودتـه وكان رغـماً عنه.

١- قلـت هنـا [للجميـع] ولم أقـل من الجميـع، لأن المشـهور عند جمهـور المفسرين أن النسـوة بـرؤوه ممـا نُسِـب إليه سـابقاً، ولكـن الواقع ليس كذلـك، ولي تفاصيـل وأدلة لإثبـات ذلك، بأنهـن أنكرن معرفتهن الشـخصية بـه بالجملة أولاً، ثـم أنكرن حدوث المـراودة ثانيـاً. ولكـن ليس هنا محـل استرسـال تلك الأدلة، وسـيأتي الـكلام في الجزء الثاني لهـذا الكتاب.

أفيأتي في آخر المطاف ليقول إنه قد داخله شيء.

وقد يقول أحدهم: من أجل التخلص من هذه الإشكالية يمكن أن يقال ما مفاده (لا بأس، حتى لو قلنا إن الكلام صدر من يوسف، فهذا لا يعني التشكيك بنزاهته. فكلامه عن طبيعة النفس الإنسانية، فقوله ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾، ثم عقب بالنفس[1] ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾، أي أن طبيعة النفس البشرية أمارة بالسوء.

أقول: نعم لا بأس بذلك، وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾، أن طبيعة الإنسان هي الخسران ثم جاء بالاستثناء بعدها ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾[2] وهنا كذلك.

فطبيعة النفس أنها أمّارة بالسوء، إلا ما رحم الله، فأين المشكلة، فلا ضير من ذلك.

أقول: هذا التوجيه صحيح بشكل عام، ولا بأس به.

ولكننا هنا نتكلم عن مصدر الكلام وليس مفاده، فمفاده صحيح، وقد أتيت بما يؤيد صحته بالاستثناء الوارد في سورة العصر كما مرّ، هذا **أولاً**.

١- ثم جاء بالنفس المحلاة بالألف واللام، وهي للجنس.

٢- سورة العصر: الآية٣.

ثانياً: لـو نظرنـا إلى المقـام الـذي قِيْلت فيـه وتوقيتـه، لوجدنـا فيه نوعـاً مـن التعريض والخـدش بنزاهة يوسـف الصّدّيـق عليه السلام، نعم لو قِيْلـت بوقـت ومقام آخـر فلن يكـون هناك إشـكال.

ولكـن أن يقـال إنهـا مـن يوسـف في ذلـك التوقيـت، فهـذا غـير مناسـب ففيه تشـكيك في نزاهتـه، لأن الموقف كان للتحقيق فيما نُسِـب إليـه والمقـام لا يناسـب هـذا التوجيـه في الكلام.

تنبيه: مضافاً إلى ذلك إذا لاحظنا مراتب النفس التي تكلم عنها علماء الأخلاق وتقسيماتهم لها المستفادة من الآيات والروايات، سنجد أنفسنا بين احتمالين أو قضية مانعة خلو: إما أن نقول بأن نفس يوسف نفس أمَّارة أو مطمئنة.

فـإذا بنينـا على أنه قـول يوسـف؛ فيلزم منه أن نفسـه أمارة بالسـوء وليسـت مطمئنة[1].

وعـلى كلا التقديريـن[2] سـواء قلنـا وقـت الـكلام أو وقـت مـا

١- قـد يقـول أحـد القـراء الأعـزاء، لا بأس أن يقول يوسـف إن نفسـه أمارة بالسـوء مـن بـاب التواضـع، كـما هـو سـياقات كثـير مـن كلام المعصومـين عليهم السـلام في الأدعيـة، حيـث يفرضـون أنفسـهم مذنبين...إلخ.

أقـول: نعـم، لـو كان الـكلام بينـه وبـين الله تعـالى لسـلّمنا بـه، ولكنه مـع الناس وفي موضـع تهمـة، وهـو غير لائـق منـه عليه السلام، وذلـك بلحـاظ توقيتـه حينها.

٢- وقت المراودات كانت نفسه تأمره بالسوء، فكلا الوقتين، كان معصوماً.

يُدّعى عليه في موضوع المراودات، فكلا الوقتين كان معصوماً، بدليل قوله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[1] وكان أول بلوغه للأشُد، فأصبحت نفسه نفساً مطمئنةً من ذلك الوقت، وهذا لِما تقتضيه العصمة.

وأما على القول بأن الكلام لامرأة العزيز - وهو الأصح- والأنسب، فنفسها هي الأمارة بالسوء، وقد اعترفت بذلك.

الآن ... لقائل أن يقول بأن هذه العبارة من يوسف الصّديق، وآخر أنها من امرأة العزيز! ما هي الثمرة العملية التي تترتب على هذا النقاش؟!

أقول: الثمرة والفائدة تكمن في الخروج من إشكالية مهمة في المقام لم يتطرق لها المفسرون، أوردها ههنا:

هل من خلق الأنبياء أن يقابل يوسف المسيءَ ومن أحسن إليه فيصفه بالخيانة بعد أن تمكن منه؟!

طبعاً خُلُقُ نبي كنبي الله يوسف عليه السلام يأبى ذلك.

وعليه إذا قلنا بأن ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ راجعة ليوسف، فإننا نقع في هذا المحظور لأننا ملزمون بأن قائل ﴿وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ هو يوسف لأنها في السياق نفسه.

١- سورة يوسف: الآية ٢٢.

فلابـد مـن القـول بـأن القائـل لهـا غير يوسـف، فقـد جـاءت بعد إعـلان الـبراءة لـه. فالثمـرة مـن هـذا النقـاش أخلاقيـة... فتأمل.

وفي الآيـة محطـات أربـع دقيقـة لم يتطـرق لهـا المفـسرون، أتركهـا للجـزء الثـاني لهـذا الكتـاب خشـية الإطالـة.

والخلاصة من هذه الإثارة:

أنـه إذا التبس علينا الأمر في أي مورد قـرآني لتحديد القائل، فلننظر للسـياق إذا كان هنـاك حـوار عندهـا يمكـن أن نسـتعين بهـذه القاعدة البسـيطة التـي تكفينـا المؤنـة والكلفـة لمعرفة تغيـير جهة الـكلام، فإذا وجـدت لفظـة [**قـال**] في سـياق الآيـة، فعندهـا فقـط أعرف أنـه انتقل الـكلام مـن جهة لأخـرى، ومـن دونهـا لا داعـي للحَـيرة، إذ إن جهة صـدور الـكلام لا تزال عـلى حالها.

حسـناً... هذا في حال تغيـير جهة الكلام فلابد من لفظة [**قال**].

أمـا في حـال التحَـيّر بتشـخيص تلـك الجهـة القائلـة، أيضـاً الآيـة تتكفـل بتشـخيص تلك الجهة بشـكل واضـح، وذلك بذكرها بالاسـم أو بالصفـة في السـياق.

وهذه القاعدة لها صورتان:

الأولى:

وهي الأصل، عندما تكون الآيات في مقام نقل حوار بين طرفين عندها لابد من لفظة ﴿قال﴾[1] في حال تغيير جهة الكلام.

الثانية:

في حالة حوار بين أكثر من طرفين، ثلاثة أطراف أو يزيدون، عندها لا تكتفي الآيات بالاتيان بلفظة ﴿قال﴾ لاختلاف جهة الكلام فحسب، وإنما لابد أيضاً من ذكر وتوضيح مصدره، أما إذا تعدد المحاورون في كلام تخللته أحداث كثيرة فلابد من ذكر جهة الكلام أيضاً، كما مر مثاله من هذه الإثارة فراجع.

١- هناك صورة أخرى وهي إذا كانت الآيات في مقام نقل كلام لأكثر من فئة متغايرة في قرارها تأتي بلفظة [قالوا] في كل مورد كما في سورة الأنبياء الآية ٥٩ ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ فقالوا الأولى التي يشتمل سياقها على سؤال استنكاري، فقطعاً أن ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا...﴾ غير قالوا التي بعدها، لأن التي بعدها جواب لذلك السؤال، وعليه يُفهم أن الفئة السائلة غير الفئة الراديـن عليهم... فجاءت لفظة [قالوا] لتغيير جهة القائلين.

2

الإشارة الثانية

أَحْسَنُ القَصَصِ

أحسن القصص

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ يوسف الآية ٣.

للمفسرين (رحم الله السابقين وأيد الباقين) توجيهان فيها:

الأول:

أن الوصف بـ (أَحْسَنَ) راجع لسورة يوسف، فتكون سورة يوسف والأحداث التي فيها هي أحسن القصص.

الثاني:

أن الوصف بـ (أَحْسَنَ) راجع لعموم القصّ في القرآن، وليس خاصاً بسورة يوسف عليه السلام.

والثاني هو الأصح والأقرب، وتدّل عليه عدة أمور:

أولاً: أن الآية الأخيرة (١١١) من السورة نفسها يقول فيها الله سبحانه ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ...﴾.

فمن الملاحظ أنه عبّر بـ﴿قَصَصِهِمْ﴾، بينما الذي سبق سرده من

الأحداث في السورة كانت لقصة واحدة، وليس لقصص مختلفة.

فقوله قَصَصِهِمْ دليل على أنه كان في صددِ بيان إحدى تلك القَصَصِ، هذا **أولاً**.

ثانياً: أنه في السياق عبر عن الكل ولم يعبر بالجزء، فقال عز من قائل ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ...**﴾، فلو أراد السورة أو قصة يوسف لِوحدها لكان تعبيره:.. بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذه السورة أو القصة.

ثالثاً: إن هذا التعبير كثير في القرآن الكريم، فكما وصف قصة أهل الكهف قبل البِدْءِ فيها بأنها حَقّ في قوله ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ**﴾[1]، أو كما هو وصفه بعد قصة مريم ثم عيسى وكلامه عن المباهلة قال ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ**﴾[2].

فالوصف للقصّ بالحق لا يفيد الاحتراز بالضرورة - من أن غيرها ليس بحق- فلا ينقدح بذهن أحد هذا المعنى.

ولا يعني أن سرد القرآن لقصص غيرهم ليس بالحق، فكل القصص القرآنية هي حق.

ومن هنا نستطيع القول أن قصة موسى أو قصة ذي القرنين

١- سورة الكهف: الآية ١٣.

٢- سورة آل عمران: الآية ٦٢.

أو قصـة نـوح أو قصـة أصحـاب الأخـدود... إلـخ، وكل القـص القـرآني ينـدرِجُ تحت وصف أَحْسَـن الْقَصَـصِ، فهو لا يفيـد الاحتراز بالـضرورة، فتأمّـل.

ويذهـب البعض[1] إلى [أنّـه لا مانع من أن تكـون مثل هذه الآيات للمعنيـين جميعـاً، فالقرآن هـو أَحْسَـن الْقَصَـصِ بصورة عامّـة، وقصّة يوسـف هي أَحْسَـن الْقَصَصِ بصـورة خاصّة].

وهـذا الـكلام لا بـأس بـه، خاصـةً أنـه يوفـق التوجيهـين بسـياق واحـد، فلا مشـكلة.

وإن كان بـه كلام: لأنـه عندمـا يصـف لنـا القرآن بقولـه في مواطن أخـرى ﴿أَحْسَـنَ الْحَدِيـثِ﴾ في سـورة الزمـر مثـلاً، فهل نجـري عليه كسـابقه فنقـول «القـرآن هـو أَحْسَـنَ الْحَدِيـثِ بصـورة عامّة، وسـورة الزمـر هي أَحْسَـنَ الْحَدِيـثِ بصـورة خاصّة».

فـإذا كانـت كذلـك، فلـماذا لا ينقـدح هذا المعنـى في الذهـن عندما نصـل لقولـه تعـالى ﴿اللهُ نَـزَّلَ أَحْسَـنَ الْحَدِيـثِ﴾[2]، وغيرها كثير.

فالوصـف بأحسـن هنا يفهم منه كل ما نزلـه الله تعالى وليس خاصاً

١- مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ج٧، ص٧٨.

٢- سورة الزمر: الآية ٣٢.

بمورد الآية، فأَحْسَن الْقَصَصِ كذلك، فقد جاء في سياق الإنزال أيضاً، وقد قال لسان البلاغة عليه السَّلام في نهجه «وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ، وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ»[1].

حسناً ...

بعد الفراغ من مناقشة المراد من أَحْسَن الْقَصَصِ نأتي لمناقشة سبب الوصف بـ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾.

وحكايةً عن بعض العلماء وأهل المعاني تحت مفاد: [لِمَ سميت بأَحْسَن الْقَصَصِ من بين سائر الأقاصيص][2].

ومثله يذهب بعض المفسرين[3].

أقول وفيه نظر...

لأن الوصف بأَحْسَن هنا ليس خاصاً بقصة يوسف وحسب، وإنما لعموم القصّ في القرآن، وقصة يوسف ما هي إلا عيّنة من

١- نهج البلاغة، خطبة ٨، ص ٢٢٢.

٢- تفسير القرطبي المجلد ٩، ص ١٢٠.

٣- كالعلامة صاحب الميزان "رحمه الله" حيث سرد الوجهين، ولم يبين مختاره منهما، لكنه بموضع آخر لّمح باختياره للوجه الأول في ج١١، ص١٣٣، حيث قال في معرض كلامه [أن يكون إنزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين]، وقد تبين بالمتن رد هذا التوجيه.

تلـك الأقاصيص.

تأمّل معي أيها القارئ العزيز هذا المعنى:

فالتاجـر الـذي ينـادي عـلى بضاعتـه بأنها أحسـن البضائـع، ليس مـراده - بالـضرورة -أن هـذه البضاعة أحسـن مـا عنـدي، فيمكن أن يكـون قصده أحسـن البضائع في قبـال البضائع الموجودة في الأسـواق.

فالقرينة المقامية تدل على هذا التوجيه.

وتعبير الآية نفسـه بـ ﴿أَحْسَـنَ الْقَصَصِ﴾ يشـعر بهـذا المعنى، لأن أَحْسَـنَ من صيـغ التفضيل، فذاك حسـن، وهذا أَحْسَـنَ.

أي أن هنـاك أكثـر مـن سرد في مقابـل الـسرد القـرآني لغـرض المنافسـة أو لأغـراض أخـرى، وهـذا الـسرد القـرآني هـو أحسـنها.

فـإن العـرب آنـذاك كانوا يتفنّـنون في سرْدِ القصـص، خاصة بعد نـزول القـرآن لغـرض إلهـاء النـاس عـن مـا جـاء بـه، ﴿وَقَـالَ الَّذِيـنَ كَفَـرُوا لا تَسْـمَعُوا لِهَذَا الْقُـرْآنِ وَالْغَـوْا فِيهِ﴾[1]، فجـاءت الآيات لتبين وتنبـه إلى الحقيقـة أن مـا في القـرآن الكريم مـن القصص هو أَحْسَـن مما في أيـدي الناس.

وعليـه يكـون الوصـف بأَحْسَـنَ هنـا في قبـال مـا يقصـه النـاس

١- سورة فصلت: الآية ٢٦.

خـارج القـرآن الكريـم.

فقوله ﴿أَحْسَـنَ الْقَصَصِ﴾ في سـورة يوسـف ما هـو إلا مصداق مـن تلـك الْقَصَصِ كما مـرّ بيانه.

قد يطرح أحد القراء الأعزاء سؤالاً وملخصه:

إذا كان الأمـر كـما تقـول أن سـورة يوسـف مصـداق مـن أحسـن القصـص، فهلّا كان سـياق الآيـة ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ - من - أَحْسَـنَ الْقَصَـصِ﴾، بزيـادة مـن للتبعيـض، بدل السـياق الحالي، وبهـذا يكون المعنـى أجـلى وأوضح.

ويمكن الإجابة عليه:

١- بأنـه لـو كان سـياقها بهـذا النمـط لتوهم الوصـف بـ(أَحْسَـنَ الْقَصَـصِ) يشـمل حتـى غـير القـص القـرآني، لأنـه يلـزم منـه ذكـر التبعيـض في كل الأوصـاف الأخرى أو تـأتي للصياغة القرآنية أَحْسَـنَ الْحَدِيـثِ فتقـول الآيـة (مـن أَحْسَـن الْحَدِيثِ).

٢- وأيضـاً لتوهـم أن القـص القـرآني فيه تفـاوت في متانة سـبكه، والحـال أنـه ليـس كذلك فكل مـا في القـرآن الكريـم متانتـه واحدة.

إذن التساؤل السابق:

[لماذا كانت سورة يوسف أَحْسَنَ الْقَصَصِ]؟ غير دقيق.

ويجب أن يصاغ هكذا:

[لماذا اختيرتْ سورة يوسف كمصداق لأَحْسَنَ الْقَصَصِ ؟].

العلماء يذكرون وجوهاً كثيرة في سياق الجواب.

وأقول: إن كل تلك التوجيهات وما تم ذكره في التفاسير، لا يُعدُّ جواباً وتعليلاً لاختيارها مصداقاً لأحسن القصص.

فهي لا تعدو عن كونها مجرد فوائد مستفادة من القصة[1].

وهذه الفوائد لا تختص بها سورة يوسف وحدها، وإنما يمكن استقاؤها من قصص القرآن الأخرى.

ولعل السبب الأنسب، هو أن قصة يوسف وتفاصيلها كانت عند أحبار اليهود وحدهم، فأراد الله إحباط مخططهم فسرد لهم تفاصيل قصة يوسف بأفضل مما يسردونه وفيها تصحيحات بعض الجزئيات التي حرّفوها.

وما يؤيد هذا التوجيه آيتان في السورة:

الأولى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ

١- وللوقوف على تلك التوجيهات يمكنك الرجوع إلى التفاسير ومنها القرطبي في تفسيره ج٩، ص١١٩، وتفسير الأمثل لمكارم الشيرازي ج ٧، ص ٨٠.

أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾[1].

الثانية: قوله سبحانه في آخر السورة ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

١- سورة يوسف: الآية ١٠٢، **أقول:** وهذه الآية لمرادها احتمالان: الأول وما كنت عند أخوة يوسف وهم يكيدون له، فتكون مثل قوله تعالى في سورة آل عمران الآية ٤٤ ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾، والاحتمال الثاني أي وما كنت عند اليهود عندما أرادوا أن يتحدوك يا محمد ﷺ بما عندهم من تلك التفاصيل... والثاني هو الأقرب لأدلة أربعة لا يسع المقام لسردها.

3 الإشارة الثالثة

فائدة تربوية في "لا تقصص رؤياك"

فائدة تربويّة في "لا تقصص رؤياك"

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[١].

أتناول ثلاث إشارات في الآية بشكل موجز:

* **الأولى**: نهي ﴿لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ﴾.

* **الثانية**: تعليل لذلك النهي ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾.

* **الثالثة**: برهنة ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

حاول أن يكون أسلوب الأمر أو النهي لابنك بعيداً عن التلقين، فليس من الصحيح أن تحشو كلامك وتكتفي بـ[أريد مصلحتك].

فالشيطان كان كلامه لآدم وزوجه يحتوي على هذا النمط

١- سورة يوسف: الآية ٥.

﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[1]، وإخوة يوسف كانوا يدّعون هذا ﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾[2].

علِّل لابنك سبب الأمر أو النهي ولا تكتفِ بالتلقين، بل برهن وأوضح له بقدر المستطاع سبب ما تنهى عنه أو ما تأمر به.

فذلك أبلغ وأنفع في نفسه، أفعل كما فعل نبي الله يعقوب عليه السلام بأسلوبه الراقي.

١- سورة الأعراف: الآية ٢١.

٢- سورة يوسف: الآية ١١.

4 الإثارة الرابعة

يوسف بين القتل والطرح

يُوسُفُ بَيْنَ القَتْلِ وَالطَّرْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[1].

هاتان الآيتان تحتويان على حوار وسأبحثه بلحاظين:

* **الأول:** صدوره.

* **الثاني:** مفاده.

بلحاظ صدوره:

علماء التفسير قاطبة (رحم الله السابقين، وسدد الباقين) ذهبوا إلى أن ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾، هو حوار وتشاور جرى من إخوة يوسف، فصدوره ومحتواه منهم، وبعده اقترح أحدهم إلقاءهُ

١- سورة يوسف: الآية ٩.

في غَيَابَةِ الجُبّ ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾، وفعلاً استحسنوا رأيهُ، فذهبوا به للجب فيما بعد ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾.

ولمناقشته:

بدايةً هذا التصور لا بأس به، ولكن بمزيد من التمعن في مفردات وسياق الآيات، يتضح أن هذا الفهم غير دقيق، وهو قابل للنقاش.

فصحيح أن هذا الحوار دار بين الإخوة العشرة وجرى على لسانهم، ولكن محتواه ليس كذلك.

فـ ﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ ليس كلام الإخوة وإن جرى على لسانهم، لأن المحتوى هو من قبيل وسوسة الشيطان، فهو تلقين من الشيطان لهم.

وما يدل عليه جهتان:

الأولى: من جهة السياق: فلم يأتِ في سياق الكلام ما يوضح مصدره، فقد كان السياق أشبه شيء بالبناء للمجهول، ولم يكن في سياق هذه

الآية لفظة ﴿قال﴾، وإنما جاء من جهة مجهولة المصدر[1].

ألا ترى أن السياق الذي قبلها ﴿إِذ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ وبعدها ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾ فلو كان هذا الحوار معلوم المصدر لقالت الآيات (قال أحدهم ﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾ وقال الآخر ﴿أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ وقال آخر ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ أو ما شابه، بأن الضمائر فيها لم تكن كسياق ما قبلها ﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾، ولو كان هذا الحوار من الإخوة لقالت الآيات اقتلوه بذكر الضمير بدل ﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾، وهذا يشعر بأن الجهة لهذا الكلام ليس هم الإخوة العشرة، وإنما هو اقتراح جهة أخرى.

أما الجهة الثانية: من جهة محتوى الكلام: فلو تأملنا هذا الكلام لوجدناه يحتوي على خطواتٍ ثلاث، وهذه الخطوات في الواقع هي خطوات الشيطان التي حذر منها سبحانه في آيات أخرى.

* **الخطوة الأولى:** الاستدراج والتخيير في ﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾.

* **الخطوة الثانية:** حصول الغاية المنشودة لهذا الفعل فـ ﴿يَخْلُ

١- راجع الإثارة الأولى من هذا الكتاب.

لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾.

* **الخطوة الثالثة:** التسويف للتوبة ﴿وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾.

فهذه الآية قد اختزلت في طياتها كل أساليب الشيطان في الوسوسة، فبمجرد أن الإخوة هنا أوجدوا الأرضية الخصبة للشيطان وفتحوا منفذاً لِدخوله، وذلك لَمَّا قالوا ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا﴾، نفذ الشيطان في نفوسهم وكانت مرتعاً خصباً لِوُلُوجه في نفوسهم بفعل الحسد، والذي تطور إلى حقد فيما بعد بفعل وساوس الشيطان[1].

قد يقول لي قائل: ما المانع لو قلنا بأن محتوى هذا الحوار هم الإخوة كما أن مصدره هم؟ فما الضير من هذا التوجيه؟ فالحوار الذي جرى يمكن أن يكون التقدير فيه راجعاً للإخوة وليس للشيطان كما تقول.

وبتعبير أوضح: يمكن أن يُفهم من هذا الحوار هكذا [قال أحدهم اقتلوه، وقال الآخر اطرحوه أرضاً، وأكمل ثالث بقوله يخلُ

١ – لأن الحسد هو شعور نفسي ورغبة لزوال النعمة من الغير، فإذا ما تم السعي لتطبيق تلك الرغبة في الخارج فيكون حقداً، فالأخوة كانوا يحسدونه في البداية لكنهم سرعان ما حاولوا تطبيق ذلك الدافع في الخارج.

لكـم وجـه أبيكـم، وعقـب رابـع وتكونـوا مـن بعـده قومـاً صالحين، وعلـق الأخـير لا تفعلـوا هـذا وإنـما ألقـوه في غيابـة الجـب إذا كنتـم مصرّيـن عـلى إبعاده عـن أبيكم]، فـكان اسـتقرار قرارهم عـلى الجب.

فـما هـو المانـع مـن هـذا؟ ولا حاجـة للقـول بـأن هـذه الآيـات ﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ مـن قبيـل الجملـة الاعتراضية، وبهـذا تكـون كلهـا سـياقاً واحـداً بـلا فاصـل.

أقـول: لا منافـاة في القـول بـأن الحـوار جرى عـلى لسـان الإخوة، وبـين القـول بأنه مـن قبيل وسوسـة الشـيطان.

المشكلة ليست هنا، ولكن هناك نقطة دقيقة أرجو الانتباه إليها:

تـارةً أتسـاءل عـن مصـدر الـكلام، وتـارةً أتسـاءل عـن محتـواه، فالـكلام وأن كان قـد جرى على لسـان الإخوة لكن المحتـوى والفكرة بـأن اقتلـوه ... إلـخ، ثـم توبـوا إذا كان هـذا الأمـر يزعـج مضاجعكم ويـؤلم ضمائركـم فينصلـح حالكـم فيـما بعد...

وهذا المحتوى ليس من الإخوة.

تمامـاً كـما أنـك تقـرأ كلامـاً لأحدهـم أو تُلقَّن مـن أحدهـم كلاماً فتلقيـه، هو قـد جرى على لسـانك صحيح، ولكن محتـواه ليس كذلك.

وهذا ما حدث فعلاً هنا في الحوار.

فمحتوى هذا الكلام من قبيل خطوات الشيطان ووسوسته، وحيث إن هذا إيحاء من الشيطان وهو لا ينافي صدوره على لسان الإخوة أو لسان بعضهم، فهو بمثابة التلقين لهم بطريقة الجريمة.

لأن أسلوب الشيطان هو هذا، الخفاء وصعوبة تمييزه عن غيره وهنا تكمن خطورته.

وللتوضيح: لو فكر أحدنا في أذية شخص ما، يبدأ بوضع خطة من خطوات عدة للنيل منه، فيقحم الشيطان نفسه لأنه يتربص به، فيظن أنها من أفكاره ومن ابتكاراته، فقد وجد أرضية خصبة للتلقين فيقحم وسوسته بين الأفكار فيعتقد الشخص أن هذه الفكرة هي من بنيات أفكاره، وفي الحقيقة إنها من الشيطان[1]، ومن هنا نفهم معنى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ فِي الْعُرُوقِ**»، أي أن وساوسه تكون مندمجة مع الأفكار التي تنشأ عند المرء، فيصعب التمييز بينها وبين أفكاره، وهنا تكمن خطورته.

---

١ - وعلى حسب الفاعل يكون الفعل وتتحدد وسيلة الوسوسة، فطبيعة الفاعل المزاجية تنعكس على الفعل، ويتحدد ذلك التدرج من الأخف إلى الأشد والعكس...فصاحب النزوات الشريرة يتدرج معه الشيطان من الأخف إلى الأشد: «اطرده ...لا بل اضربه... لا بل اقتله...إلخ» وصاحب النزوات الخيرة يتدرج معه الشيطان من الأشد إلى الأخف «اقتله... لا بل اضربه وعذبه... لا بل اطرده على الأقل»...إلخ.

فكـــون الإخـــوة قالـــوا هـــذا الـــكلام وصـــدرت منهـــم هـــذه الاقتراحـات، لتنفيـذ مـا فكـروا بـه لا ينفـي كونـه مـن قبيـل خطوات الشـيطان ووساوسـه.

ما سبق تقريره ولحِد الآن قد يَعُدُّه البعض تكلفاً، أليس كذلك!

حسـناً... تعـال معـي أيهـا القـارئ العزيـز لنـرى صياغـة حـوار آخـر، ونستشـعر الفـرق ليتضـح كلامـي بصـورة أجـلى لا لبْـس فيـه.

قولـه تعـالى في الآيـة التاسـعة عـشرة مـن سـورة الكهـف ﴿قَـالَ قَائِـلٌ مِّنْهُـمْ كَـمْ لَبِثْتُمْ قَالُـوا لَبِثْنَا يَوْمًـا أَوْ بَعْضَ يَـوْمٍ قَالُوا رَبُّكُـمْ أَعْلَمُ بِـمَا لَبِثْـتُمْ فَابْعَثُـوا أَحَدَكُـم بِوَرِقِكُـمْ هَـذِهِ إِلَى الْمَدِينَـةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَـا أَزْكَى طَعَامًـا فَلْيَأْتِكُـم بِـرِزْقٍ مِّنْـهُ وَلْيَتَلَطَّـفْ وَلا يُشْـعِرَنَّ بِكُـمْ أَحَدًا﴾.

وهـي محـاورة أصحـاب الكهـف، فمصـدره ومضمونـه منهـم، لذلـك جاء في السـياق بلفظة: ﴿قَـالَ قَائِـلٌ مِّنْهُمْ...قَالُـوا لَبِثْنَـا يَوْمًـا... قَالُـوا رَبُّكُـمْ أَعْلَـمُ...﴾ كلـما تغـيرت جهـة الـكلام، أليـس كذلـك، أو كـما في قولـه تعـالى في السـورة نفسـها ﴿إِذْ يَتَنَازَعُـونَ بَيْنَهُـمْ أَمْرَهُـمْ فَقَالُـوا ابْنُـوا عَلَيْهِـم بُنْيَانًا رَّبُّهُـمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَـالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَـلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِـذَنَّ عَلَيْهِـم مَّسْـجِدًا﴾[1].

وهـذا على خـلاف الحوار الذي جاء في سـورة يوسـف بين الإخوة ﴿اقْتُلُـوا يُوسُـفَ أَوِ اطْرَحُـوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُـمْ وَجْهُ أَبِيكُـمْ وَتَكُونُوا مِن

١- سورة الكهف: الآية: ٢١.

﴿بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾.

ولو كان الأمر كما هو مشهور، وكان المضمون منهم لتخلل الكلام بلفظة (قال) أو ما يدل على انتقال الكلام من جهة لأخرى، ولكان سياقها نظير سياق الحوار الذي دار بين أصحاب الكهف، فليتأمل جيداً.

بعد الفراغ من اللحاظ الأول نأتي للحاظ الثاني وهو:

﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾.

كان الإخوة مختلفين فيما بينهم، أيقتلونه أم يطرحونه أرضاً، فقال أحدهم ألقوه في غيابة البئر لِتلتقطه قافلة وبهذا يحصل لكم المراد، فاستقر رأيهم على هذا وتم انتزاع يوسف من أبيه وحصل ما حصل، إلى نهاية الحدث... كما هو سائد ومشهور في التفاسير أجمع.

أقول: وهذا الفهم للآيات أيضاً قابل للنقاش وفيه نظر.

فالإخوة لم يكونوا مختلفين في قتل يوسف أو طرحه، كما فهم المفسرون ذلك.

فقد كانوا متفقين على القتل لا محالة، ولكنهم مختلفون في طريقته ﴿لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ..﴾، فلو كان القتل والطرح أمرين

متغايرين كما يُتصور لقال أخوهم الأكبر (لا تقتلوه ولا تطرحوه أرضاً) ولكنه نفى أمراً واحداً فقط ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ..﴾ فنفيه لأمر واحد - وقد كانوا بين أمرين بحسب الفرض - يدل على أن كلا الخيارين مؤداهما واحد وهو الموت، أيقتلونه مباشرةً أم يطرحونه بأرض مقفرة[1]، فيموت حتف أنفه؟[2] هذا من جهة.

ومن جهة أخرى أنهم لم يأخذوا بكلام واقتراح الأخ بالإلقاء في البئر في بداية الأمر، كما هو اختيار المفسرين قاطبة.

وأوضح دليل على ذلك أن الآية قالت فيما بعد ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾، وهي تشير إلى أنهم قبل هذا الموقف لم يكونوا مجمعين، ولم تكن كلمتهم على فكرة الْجُبِّ متفقة، وإنما كانوا مصرّين على قتله لا محالة، ولكنهم كانوا مختلفين في طريقته، بطريق مباشر بأداة ويتورطون بدمه، أو غير مباشر بأن

١- فيضيع فيها، أو يموت من الجوع والعطش أو يلقى حتفه من التعب والإرهاق.

٢- تماماً كما هو الفرق بين الموت وبين القتل ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ ١٤٤ آل عمران أو العكس ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ ٥٨ الحج، وأن كان كلٌ من القتل والموت مؤداهما واحد هو خروج الروح. ولكن الاختلاف بينهما في الطريقة أو الترتيب والأثر، هذا لأن القتل هو إفساد الجسد بأداة وما شابه فيترتب عليه خروج الروح، والموت هو خروج الروح الذي يترتب عليه فساد الجسد بالتعفن وما شاكل، وإن كان هذا التعريف ليس دقيقاً. ولكن لا بأس به في المقام. لأن فساد وحالة تعفن الجسد تتحصل حتى بعد خروج الروح المترتب من القتل، فهنا ليس بين الفساد وخروج الروح ترتب وإنما إضافة.

يُلقوه بمكان يؤدي به إلى الهلاك.

دقق معي في قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[1]، مع أن دعواهم الصلب تحديداً، لكنهم قالوا بالقتل، ثم نفى الله قتله وصلبه، وبعدها نقل سبحانه شكهم بالقتل.

فالمراد بالقتل هنا، ليس إلا طريقة للموت ولإزهاق الروح بدليل أنه جاء بسياق الصلب ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ والذي هو أيضاً طريقة من طرق إزهاق الروح.

أو نظير أهل بابل لما أن قالوا بشأن إبراهيم عليه السلام ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

فمؤدى القتل أو الحرق واحد وهو إزهاق الروح، ولكنهم هنا اختلفوا في طريقته، واستقر رأيهم على الحرق كما هو واضح في موطن آخر بسورة الأنبياء ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[3].

١- سورة النساء: الآية ١٥٧.

٢- سورة العنكبوت: الآية ٢٤.

٣- سورة الأنبياء: الآية ٦٨.

والجدير بالذكر أن هذه الآية بالنسق نفسه في ذيلها: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ وهنا أيضاً ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾، فـ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ في الموطنين.

(تفريعاتٌ أربعة)

* التفريع الأول: تغيير فكرة القتل

أطرح سؤالاً بالمقام: ما الذي جعلهم يعدلون عن فكرة قتله لفكرة جعله بالْجُبِّ؟

أهي فكرة الأخ بالْجُبِّ، كما هو مشهور وسائد؟أم أمر آخر؟

وجوابه:

صحيح أن الإخوة أخذوا بالاقتراح ونفذوه في النهاية، ولكن لم تكن موافقتهم عليه إلا بعد تدخل يعقوب عليه السلام بحجة الذئب والخوف على يوسف منه، ولولا هذا ما كان اقتراح الأخ الأكبر بالْجُبِّ ذا أهمية.

إذن... لا منافاة بالقول بأنهم سمعوا كلام الأخ في بداية الأمر، غاية ما في الأمر أنهم لم يكونوا مقتنعين حينها، وهذا يكشف لنا أمراً خطيراً للغاية، وهو أنهم حينما جاءوا إلى الأب لطلب يوسف ما كانت نيتهم إلقاءه بالْجُبِّ، بل كانت نيتهم قتله، وهذا كاشف لنا عن مدى حقد الإخوة عليه.

* التفريع الثاني: دافع يعقوب للتلقين:

والسؤال الأهم: ما هو الدافع الذي جعل يعقوب عليه السلام يطرح لهم فكرة الذئب؟ فما كان هذا المعنى ينقدح في أذهانهم لولاه.

وقبل الاسترسال أورد تنبيهاً مهماً:

توجد رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «**لا تُلَقّنوا الكذب فتُكذَبوا، فإنّ بني يعقوب لم يعلموا أنّ الذئب يأكل الإنسان حتّى لَقَّنَهم أبوهم**»[1].

هذه الرواية أقصى ما يستفاد منها بأن هذا الأمر ليس مورداً من موارد الاقتداء[2]، فلا يتذرع أحد بتلقين الكذب استناداً لفعل يعقوب عليه السلام، لأن يعقوب كان مضطراً لفعله آنذاك، لدفع القتل عن ابنه.

بالإضافة إلى أن الرواية ليس فيها ذم أو تعريض لفعل يعقوب عليه السلام كما يفهمه البعض.

ولمعرفة الدافع الحقيقي لتذرع الأب بقضية الذئب...

دعنا أيها القارئ العزيز نحذف كلام يعقوب عليه السلام من سياقه، ثم نتصور مجريات الأحداث بدونه.

١- المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٢، ص٢٢١، مجمع البيان ٥:٢١٦.

٢- نظير قوله تعالى ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾، سورة القلم: الآية ٤٨.

جـاءوا لـلأب ﴿قَالُـواْ يَـا أَبَانَا مَـا لَـكَ لاَ تَأْمَنَّا عَـلَى يُوسُـفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾...إلـخ إلى أن أخـذوا يوسـف منـه... ثم ماذا؟

طبعـاً - عـلى أسـاس أنهم عملـوا باقـتراح أحدهم بالجـب في بداية الأمر- سـيذهبون بـه ثم يرمونـه بالجب.

فأمامهم احتمالان:

١- إما أن تأتي قافلة لأخذه كما كانوا متوقعين من البداية.
٢- أو أن يرموه ويهملوه فيموت في البئر.

ومـن الممكـن أنـه إذا أخرجتـه القافلة فيما بعد، يرجـع إلى أبيهم مـرة أخـرى... وهـب أنهـم ألقـوه في الجـب ورجعـوا فمـن المؤكد أن أباهـم سـوف يذهب للبحـث عنـه ويُحْتَمـل أن يجده.

لذلـك حتـى لـو ذهبـوا بـه وَأَلْقُـوهُ في غيابـة الجـب ففـي طريـق الرجعـة سـيأتي لهـم الشـيطان بوسوسـته.

مـا هـو عذركم إن رجعتم بدونه؟ ماذا سـتقولون لأبيكم يا ترى! وما الضـمان لعدم رجوعه؟! فرجوعه فضيحة لكم من جهة، ونقض لغرضكم مـن جهـة، وهل...وهـل... وهـل... ووسـاوس الشـيطان لا تنتهـي. إلى أن يقنعهـم بالرجـوع ليوسـف وقتلـه[1]، بحجـة ضـمان عـدم

١- قـد يقـول قائـل: إذا قتلـوه وتورطـوا بدمه فعلاً، فبـأي عذر يرجعـون إلى الأب؟ أقـول ليـس كذلـك فالشـيطان غايتـه هو قتـل يوسـف، وبعد ذلـك هل عندهـم عذر أو ذريعـة بالرجـوع مـن دونه، هذا ليس شـأن الشـيطان، لأن طبعه الخـذلان فلا يهمه هنـا إلا قتل يوسـف فقط، ﴿وَكَانَ الشَّـيْطَانُ لِلإِنسَـانِ خَذُولا﴾ الفرقـان: الآية٢٩.

رجوعه لئلا يفتضح أمرهم وينكشف سرهم...إلخ.

لذلك أوجد لهم يعقوب عليه السلام عذراً بالذئب.

وذلك كطريق للرجوع بدونه ليحافظ على حياة يوسف كأهون الضّررين.

فلما أن قال لهم إني أخاف عليه من الذئب؛ استحسنوا الفكرة مما جعلهم يعيدون النظر.

فإذا كان أبونا يحتمل أن يقع يوسف فريسة للذئب، إذن فقد كفانا مؤنة إقناعه فيما بعد بهذا الأمر.

تماماً مثل الأب الذي لاحظ أن ابنه مصمّم على كسر سراج ثمين، ويتحين الفرصة لكسرهِ، فيقول الأب له لا تبعه ولا ترهنه، أو لا تضعه في مكان تطاله أيدي السراق... إلخ، فينقدح في ذهن الابن الخلاص منه بهذه الطرق أو الاستفادة منه، فيقول ما دمتُ أريد الخلاص منه؛ إذن لماذا لا استفيد منه، فبالإضافة إلى الفائدة المتحصلة من بيعه مثلاً يسهل إقناع أبي باختفائه، فهو لا يستبعد هذه الاحتمالات لأنها منه.

والذي ألجأ الأب لتلقين ابنه هذه الخيارات، هو لتحاشي أكبر الخطرين، فإبعاد السراج وهو سليم أهون من إتلافه.

فكذلك هنا... وهذا ما حصل في هذه الأحداث، فيعقوب عليه السلام لقَّنهم حجة جاهزة للرجوع بدونه فيما بعد، كما في الموقف الآخر ففتح لهم طريق رجعتهم بدون بنيامين عندما أخذوه بمصر، ولولا هذين

الأمريـن- تلقينهـم بالذئب لحدث يوسـف، واسـتثناؤه بـــ ﴿إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُـمْ﴾ لِحَـدَثِ بنيامين- لتغير مسـار الأحداث للأسـوأ[1].

إذن تدخـل يعقـوب عليه السلام بحجـة أكل الذئـب لهُ في ذلـك الوقت كان السـبب وراء عـدول الإخـوة عـن قتله إلى خيـار تَغْيِـيبه، ولم يكن ذلك بسـبب اقـتراح الأخ بالْجُـبِّ في البدايـة، كما هو مشـهور المفسرين في المقام.

وغايـة ما غيَّره ذلـك الاقتراح هو طريقـة إبعاده، فـكان اختيارهم للطريقـة هي الْجُـبِّ، وقـد اجتمعت عليـه كلمتهم أخـيراً، ودليلي بهذا قولـه تعـالى ﴿فَلَـمَّا ذَهَبُـواْ بِـهِ وَأَجْمَعُـواْ أَن يَجْعَلُـوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُـبِّ﴾، إذ قبلـه لم يكونـوا مجمعين[2].

١- ففـي يوسـف سـيقتل، وفي بنيامين سـيخسر يعقـوب أبناءه، وسـيبحث في أبحاث قادمة.

٢- وأكثـر مـن هـذا، أن تدخـل يعقوب عليه السلام بحكمته لم يغير مسـار الحـدث للأهون فقـط، بـل أيضـاً سـاهم في تخفيف حدتهـم في طريقة الإبعـاد، لـو نظرنا وتمعنـا التعبير في الآيـات يتضـح لنـا هذا المعنـى انظر معـي قليـلاً: في البداية لمـا اقـترح أحدهم ﴿لاَ تَقْتُلُـواْ يُوسُـفَ وَأَلْقُـوهُ فِي غَيَابَـةِ الْجُـبِّ﴾) فقـد جـاء بتعبـير - وَأَلْقُـوهُ - لكنـك لـو نظـرت لمـا بعدهـا وهي عنـد تنفيـذ جرمهم جـاءت الآيـة بـ﴿فَلَـمَّا ذَهَبُـواْ بِـهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُـوهُ فِي غَيَابَـةِ الْجُـبِّ﴾ وهـو بفضـل تدخـل يعقـوب عليه السلام أبـدل نيتهـم مـن الإلقـاء إلى الجعـل، وفـرق بـين الإلقـاء والجعـل فالجعـل أعـم، لأن الإلقاء هـو مجرد وضـع الـشيء والعـدول لغـيره، أمـا الجعل فهـو وضع الـشيء مـع مداراتـه ومراقبته، وهـذا ما يتضـح لنا عند تدبـر قوله ﴿وَأَلْقُـوهُ فِي غَيَابَـةِ الْجُـبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّـيَّارَةِ﴾ فيكـون حـال يوسـف في ذلـك الوقت كحـال اللقطـة التـي لا صاحب لهـا، فيكون=

فتأمَّل معي لما أن اقترح الأخ لهم فقال ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ﴾ لكن في وقت التنفيذ اختلف الأمر ﴿وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ فما الذي حول الإلقاء إلى جعل هنا، أليس يعقوب عليه السلام وحكمته!

فتحول الأمر من مجرد القاء إلى كونه جعلاً أي وضع مع متابعة، فكانوا يتعاقبون على البئر ويراقبونه فترة من الزمن، كما هو مفاد الرواية[1]، فيدلون له ما يحتاجه لضمان استمرار بقائه حياً إلى أن جاءت القافلة وأخرجته من الجُبِّ، وغرضهم من متابعته عدة أمور أهمها: ضمان عدم مجيء أحدهم للبحث

= الجعل أهون من الإلقاء، فإن الأخ الذي رأف لحال يوسف حينها دعا لإلقائه وعدم مداراته لتتكفل قافلة به فيما بعد، ولكن لما أن تدخل يعقوب في المسألة أبدل الإلقاء إلى جعل، وهذا يكشف لنا أن تدخله عليه السلام لم يغير غايتهم إلى الأقل ضرراً فقط، بل حتى الأسلوب.

١- تفسير البرهان للتوبلاني، ج٥ ،ص٢١٦،ح٥٢٤٢، مؤسسة البعثة، والحديث طويل بإسناده عن أبي حمزة الثمالي عن السجاد عليه السلام «...إنهم لما أصبحوا قالوا: انطلقوا بنا حتى ننظر ما حال يوسف: أمات أم هو حي؟ فلما انتهوا إلى الجُبِّ وجدوا بحضرة الجُبِّ سيارة وقد أرسلوا واردهم فأدلى دلوه فإذا جذب دلوه فإذا هو غلام معلق بدلوه فقال لأصحابه: يا بشرى هذا غلام فلما أخرجوه أقبل إليهم إخوة يوسف فقالوا: هذا عبدنا سقط منا أمس في هذا الجُبِّ وجئنا اليوم لنخرجه فانتزعوه من أيديهم ونحوا به ناحية فقالوا له: إما أن تقر لنا أنك عبد لنا فنبيعك بعض السيارة أو نقتلك فقال لهم يوسف: لا تقتلوني واصنعوا ما شئتم، فأقبلوا به إلى السيارة فقالوا: من يشتري منكم هذا العبد منا؟ فاشتراه رجل منهم بعشرين درهما وكان إخوته فيه من الزاهدين وسار به الذي اشتراه من البدو حتى أدخله مصر...».

عنه وإخراجه، وأن تكون تحركاته بعد إخراجه من الجُبِّ تحت أنظارهم، فالمجرم غالباً ما يكون حريصاً على متابعة الأحداث على مسرح الجريمة ليتمكن من التصرف وفق ما يبتغي إذا حدث تطور مباغت فيما بعد، لتجنب وقوع خلاف مبتغاه.

وإلى هنا نصل إلى خلاصة اللحاظ الأول:

١) اختيار المفسرين قاطبة، أن الحوار الذي جرى كان من الإخوة، وهذا غير دقيق، فالحوار جرى بين الإخوة، وليس منهم، فتأمل الفرق، فهو وإن جرى على لسانهم بِلا شك، لكن مغزاه ليس منهم[١].

٢) وسوسة الشيطان هي استدراج يتبعهُ إغراءٌ بحصول الغاية، ثم يتخلّله شيء من الأمل وتسويف التوبة. وخطورتها تكمن في خفائها بين الأفكار والأمنيات.

أما ثمرة الأسطر السابقة باللحاظ الثاني هي:

١) الإخوة التسعة[٢]، كانت نيتهم القتل لا محالة، ولكنهم كانوا مختلفين في طريقته.

٢) الإجابة عن السؤال الذي غالباً ما يطرح بالأذهان أنه: ما هو مبرر يعقوب عليه السلام لتلقين أبنائه بأمر الذئب؟

١- وليس كحوار أصحاب الكهف فكان بينهم ومنهم.

٢- عددهم عشرة أخوة، ولكن قلت تسعة هنا لأن الإخوة اتفقوا على القتل، ما عدا الأخ الأكبر الذي اقترح عليهم الإلقاء في الجب بدايةً.

٣) الكشف عن مدى بشاعة الدافع لهؤلاء، ولولا تدخل الأب لفعلوه، بدليل أنه حتى حين ذهابهم لأخذ يوسف كانت نيتهم المُبطنة هي قتله.

* التفريع الثالث: علم يعقوب بالمكيدة

قد يقول قائل إذا كان يعقوب عليه السلام يعلم بما يدور في نيات أبنائه بشأن يوسف من البداية، لماذا سلّمهم يوسف في آخر المطاف ولم يمتنع؟

أقول: الامتناع من تسليم يوسف لهم هذا ما تم فعلاً، فكل مرة يمتنع ويتذرع بحجج ليمنع حصول هذا الأمر، لكن محاولاتهم لأخذه كانت فوق طاقته في آخر المطاف.

لذلك حذر الأب يوسف من إخوته في أكثر من موقف[١].

نعم: يحتمل أنه كان في البداية مجرد شعور من الأب، ولكن هذا الشعور منه سرعان ما تحول إلى تخوف، حيث رأى منهم علامات وسلوكيات تجاه يوسف وبنيامين، فحرص على الحفاظ عليهما من البداية فكان حذراً.

ولكن هناك مشكلة أخرى تواجه الأب من جهة أنهم اتخذوا حَذر الأب وحرصه ذريعة ودافعاً لهم ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُواْ

١- وهذا ما يستفاد من سياق بعض الروايات، وغاية ما في الأمر أن سياق القصة نقل لنا تحذيراً واحداً منها، ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾.

﴿يُوسُفَ...﴾، فكلما زاد تمسك يعقوب عليه السلام وحرصه على ابنيه الصغيرين، زاد معه شدة الحسد من الإخوة لهما والإصرار على التخلص منهما، ماذا يفعل؟

وهذه الإشكالات وغيرها بالنمط نفسه واردة في المقام، ولكن الأمر أكبر من هذا التصور، فكم سيمنع أبناءه من إيذاء يوسف وأخيه؟

وهذا ما حصل فعلاً من البداية ... ولكن السؤال هنا إلى متى سيستمر ذلك الحرص والمتابعة لهما يوم، شهر، سنة إلى كم؟

فلنتصور أعزائي أن هذا الحقد منهم لهذين الصغيرين استمر أكثر من ثلاثين عاماً، ألا ترى لقولهم بعد طول فراق وبعد سنوات عدة ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾[1]، وعتابهم للأب بعد سنوات بشأن ذكر يوسف ﴿قَالُواْ تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ﴾[2]، وهذا كاشف عن شوائب الحقد تجاه يوسف وأخيه في نفوسهم حتى بعد تلك الفترة، بل حتى بعد انكشاف شخصية يوسف لهم لم تخلُ ألسنتهم من التلميح بهذا ﴿قَالُواْ تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾[3] فقد رجعوا للاعتقاد الأول، فكان كلامهم في ﴿قَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا﴾ إشارة إلى أن الله فضلك علينا، مع أننا نعرف سبب التفضيل وهو أخطاؤنا، فهذا التبرير نفسه الذي اتخذوه قبلاً

١- سورة يوسف: الآية ٧٧.

٢- سورة يوسف: الآية ٩٥.

٣- سورة يوسف: الآية ٩١.

بدعواهم ﴿أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا﴾[1] مع أنهم يدركون حقيقةً سبب

١- فالفرق بيّن لأن الأولى وهي ادعاؤهم في الميل القلبي واضح، أما الثانية وهي قولهم ﴿قَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا﴾ فمرادهم التفريق في العطايا من قِبل الله تعالى، ولكن هناك قاسم مشترك بينهما وهو قصدهم المُبطن، كالشخص الذي يقول لك [إن كل من يصادفك، يغدق عليك من الهدايا والمنح]، ففيه شيء من الحسد، إلا إذا كان في سياق كلامه ذِكر للسبب أو تلميح له، حينها يفهم منه الغِبطة كأن يقول لك[إن كل من يصادفك، يغدق عليك من الهدايا والمنح، لأنك تستحق لمجهودك...إلخ]، فالسياق هنا يختلف لأنه أرجع المكافأة لسبب مذكور أو مقدر.

وهنا كذلك، ففي قضية تفضيل الأب ليوسف وأخيه بدعواهم جاءوا بجزء من السبب، وهو أنهم عصبة وهو الجزء الذي فيه مدحهم ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ الآية ١٥، أما الجزء الآخر الذي كان سبب زيادة عناية الأب بهما لصغر سنهما، لم يصرّحوا به.

وأما تلميحهم في الثانية ﴿قَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا﴾، فقد أوضح لهم يوسف قبلها مباشرة بقوله ﴿...قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الآية ٩٠، ومع هذا لم يُجْدِ ذلك نفعاً معهم، فقد تغاضوا عن السبب الذي ذكره يوسف، وقالوا مباشرةً ﴿...تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾الآية٩١، على خلاف الصيغة مع الأب فيما بعد ﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ ٩٧، فقد كان اعترافهم للأب بالخطأ أصرح، وهذا راجع لفروق خمسة بين الموقفين سيتم بحثها في بحوث مستقلة، ولا بأس بذكر بعضها لتمام الفائدة: أنهم في الموقف الأول وهم مع يوسف كانوا متوجسين من ردة فعله، فهو الآن بموقع قوة ولا يدرون بما يصنع بهم، بخلاف لما أن طمأنهم فرجعوا إلى أبيهم وهم مطمئنون هذا **أولاً**.

ثانياً: مهما كان الأمر فهذا أصغرهم سناً وكبرياؤهم يمنعهم بالاعتراف بخطئهم أمامه بصورة مباشرة، خلاف الأب. =

التفضيل، لكنهم يكابرون.

فكيف يضمن يعقوب عليه السلام أن يمنع الإخوة من إيذاء يوسف ودافعهم الحسد المتراكم في صدورهم؟

فلابد من مجيء فرصة للاختلاء به والنيل منه لأنهم يتربصون له.

فالمشكلة التي واجهها يعقوب عليه السلام مع أبنائه معقدة جداً، لأنه بين أمرين:

* إما أن يمتنع عن تسليمه لهم، وهذا ما حصل فعلاً في بداية الأمر.
* أو أن يرضخ لرغباتهم ويسلّمهم إياه.

طبعاً ...هو كان حريصاً أكثر من مرة بالامتناع وكل مرة يتعذر لهم، ألا ترى لقوله سبحانه ﴿يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ و﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ و﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فإن هذه التعابير تدل على أنهم حاولوا مراراً ﴿مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا﴾، وهي كاشفة على أنهم حاولوا مرات دون جدوى، وما يزيد الطين بلةً أنه كلما اشتد حرصه عليه، زاد إصرارهم لأخذه.

غاية ما في الأمر أن سياق السورة ذكر لنا المحاولة التي نجحوا

= تنبيه: وأن كانت تلك دعواهم ﴿أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا ...﴾، قابلة للمناقشة من جهات منها:

أن صيغة (أحب) للتفضيل، وعليه تكون منطقة النزاع ليست واقعة في الحب والكره، وإنما في منطقة الشدة في الميل القلبي.

في أخذه بعدها، وإلا فالمحاولات كانت متكررة بدليل ﴿مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا﴾، وهذه التفاصيل التي ذكروها كتحديد الزمن بـ غد...إلخ

وأيضاً: [وإن كنت تخاف عليه منا فنحن له ناصحون ... وإن كنت تخاف عليه من غيرنا فنحن له حافظون][1].

فإذا لم يسلمهم يوسف فسينتزعونه سواء رضي أم لم يرضَ، وكانوا مُصرِّين على هذا الأمر.

فأيّ الخطرين أهون أيقتلونه أم ينفونه بعيداً؟

لهذا اضطر يعقوب عليه السلام أن يسلمه إليهم، وتفصيله، راجع اللحاظ الثاني من هذه الإثارة[2]، وحاول جاهداً أن يضمن سلامته منهم وهذا ما حصل كما سبق توضيحه.

* التفريع الرابع: كلامٌ في كيد الشيطان

قد يقول قائل: حسناً ولكن ما تقول في الآيات التي تصَرّح أن الشيطان عدو مبين مع أنه مرّ الكلام أن خطورته في خفائه ثم كيف نفهم المقارنة بين قوله سبحانه ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[3]، وبين إغوائه المهول لغالبية الناس ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾[4]؟.

١- كما أورده صاحب الميزان قدّس سره بتفسيره، ج١١، ص٩٨.

٢- صفحة ٦٤ من هذا الكتاب.

٣- سورة النساء: الآية ٧٦.

٤- سورة يس: الآية ٦٢.

أقـول: عندمـا يكـون اللحـاظ هـو العـداوة فهـو عـدو مبـين بـلا شـك، ولكـن بلحـاظ الأسـاليب فهـي خفيـة، تمامـاً مثـل بعـض الأمـراض فخطورتهـا ليـس في ذاتهـا، وإنـما في خفائهـا، فعـلى سـبيل المثـال الإيـدز ففيروسـه هـو مـن أضعـف الفيروسـات مقاومـةً ولا يصمـد في الجو الخارجي طويـلاً إذا لم يجد محيطاً يبقيه نشـطاً، فخطورته تكمـن في صعوبـة اكتشـافه والتعـرف عليـه خصوصـاً في بداياته (فترة الحضانـة)، لأنـه يتخـذ أنماطـاً عـدة ويتأقلم بما يحيـط بـه، فيتخذ وضع التنكـر والتغـير، فلذلك يصعب تمييـزه لإيجاد عقار يقـضي عليه، وإلا ففـيروس الإيـدز ليـس خطِـراً بذاتـه فالمريـض بالكبـد الوبائـي مثلاً، يمكـن أن يمـوت بسـبب هـذا الوبـاء، لكن مصـاب الإيـدز يمكن أن يتعايـش معـه، ففـيروس الإيدز تكمـن خطورته في خفائـه. كذلك هي وسوسـة الشـيطان. وإلا فهـو ضعيف كما هـو مفاد الآيـات ومنها ﴿إِنَّ كَيْـدَ الشَّـيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

لذلـك فـكل الآيـات التي في سـياقها بـأن الشـيطان عـدو مبين بها تحذيـر من اتبـاع خطواته، هـذا لأن البينونة من جهة العداوة، وليسـت مـن جهـة تفعيله لتلـك العداوة، راجـع التوضيـح صفحة ٦٢.

5

الإشارة الخامسة

عذرُ الذئب

عذرُ الذئبِ

قال صاحب تفسير «أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل» بشأن قوله تعالى ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ﴾ ما نصه[1]:

«فإن قيل: كيف اعتذر إليهم يعقوب عليه السلام بعذرين، أحدهما قوله ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ﴾[2] لأنه كان لا يصبر عنه ساعة واحدة.

والثاني: خوفه عليه من الذئب، فأجابوه عن أحد العذرين دون الآخر؟

قلنا: حبه إياه، وإيثاره له، وعدم صبره على مفارقته هو الذي كان يغيظهم ويؤلمهم، فأضربوا عنه صفحاً ولم يجيبوه عنه» انتهى كلا مه.

١- تفسير محمد بن أبي بكر [صاحب المعجم اللغوي مختار الصحاح] الملقب بالرازي أيضاً وهو غير صاحب التفسير الشهير، تحقيق د. محمد رضوان الداية استاذ الأدب الأندلسي والمغرب في جامعة دمشق صفحة ٢٢٤ -٢٢٥، دار الفكر دمشق - الطبعة الثانية ١٩٩٥.

٢- سورة يوسف: الآية: ١٣.

أقول: هذا التوجيه قابل للنقاش، لأنه مجرد تصور أولي للآية وهناك تصور ثانٍ أدق منه.

وهو أنهم لم يجيبوه لا عن العذر الأول، ولا عن العذر الثاني. وإنما كان كلامهم عن النتيجة[1]، فكأنهم يقولون له - إذا حدث ما تقوله وأكله الذئب فنحن إذن خاسرون - فكلامهم كان عن النتيجة فكأنهم استحسنوا هذا الأمر، وهذا الكلام منهم كاشف عن النية غير الحسنة، وإشارة منهم على تبني هذا الادعاء في المستقبل بأن الذئب قد أكله، وهو دالّ على النية المبطنة لهم.

وهنا في هذه الآيات نكات ثلاث أسردها لتتم بها الفائدة. وهي مبنية على المقارنة بين موقفين.

النكتة الأولى: كما نعلم أنهم قد طلبوا من أبيهم طلبين الأول طلبهم ليوسف، والثاني لبنيامين.

فتعال معي أخي القارئ الكريم لِنُدقق بين الموقفين:

فإن لـ [كل طلب غرض]، هذه قاعدة سلوكية بديهية.

فالموقف الأول:

عندما طلبوا من الأب أخذ يوسف، قدموا الطلب قبل الغرض.

- الطلب: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾.
- الغرض: ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾.

---

١ - وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، أي نتيجة هذا هو ارتيابهم.

الموقف الثاني:

طلبهم لبنيامين.

- الغرض: لأنه ﴿مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾.
- الطلب: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾[1].

لاحظ في الحالة الأولى أنهم قدموا الطلب وهو يوسف قبل الغرض ليرتع ويلعب، هذا لأن الأهم عندهم هو الظفر بيوسف لذلك قدموه.

أما الحالة الثانية: قدموا الكيل والخوف من الحرمان منه مستقبلاً والحرص للازدياد فيه؛ فلذلك قدموه، ثم ذكروا طلبهم ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا...﴾.

فائدة: وهي سلوكية متحصّلة من هذه المقارنة ولابد أن يقف عندها القارئ وقفة تأمل.

لاحظ معي أخي: إذا جاءك شخص يطلب منك شيئاً، وكانت طريقة طلبه عفوية فدقِق في صيغة طلبه:

إذا قدم شيئاً على آخر، فاعلم أن ما قدمه هو الأهم.

١- المشهور أن اسمه بنيامين، ولكن هناك تفسير نادر يذهب بأن اسمه نكتل، ودليله هذه الآية، ولكن يُشكل عليه بأن الاسم لا يُجزم، وعلى العموم هو رأي نادر، والحق هو المشهور أن اسمه بنيامين، لأنهم كانوا في سياق الكيل فقالوا (نكتل).

لذلك ترى أن الأهم لدى الإخوة في الأولى الاستفراد بيوسف لذلك قدموه.

وفي الثانية كان الأهم هو موضوع الكيل والزيادة فيه لذلك قدموه، فتأمل.

النكتة الثانية: أن صيغة الطلب منهم للأب واحدة في كِلا الموقفين ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا﴾.

ولكن الاختلاف كان في رد الأب عليهم، ففي الأولى كان رده ﴿...أَن تَذْهَبُواْ بِهِ﴾.

أما الثانية ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ﴾، والملفت ليس رده للطلب الثاني، فعندما قالوا ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا﴾ كان رده بالرفض وبالصيغة نفسها ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ﴾، وهو ردٌّ طبيعيٌّ على وفق سؤالهم.

ولكن الملفت هنا هو رده على الطلب الأول، فلم يقل ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ﴾ وإنما قال ﴿...أَن تَذْهَبُواْ بِهِ﴾، والذهاب بالشيء ليس كـ الإرسال.

فهنا أشار إليهم أبوهم عليه السلام بأمرين:

الإشارة الأولى: أن ذهابكم لن يكون إلا من أجله وليس بدونه، نظير الفرق بين قولك:

١) اذهب مع أخيك للمدرسة.
٢) اذهب بأخيك للمدرسة.

ففي الأولى يمكنك الذهاب بدونه، بخلاف الثانية فلا يصح إلا به.

الإشـارة الثانيـة: أنكـم سـتذهبون بـه، وسـترجعون بدونـه وهـذا نظـير قولـه تعـالى في سـورة المؤمنون الآيـة الثامنـة عـشرة ﴿**وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ**﴾ فـ ﴿**وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ**﴾[١]، توحـي بأنه لو أردنا إذهـاب الماء بدون ارجاعـه مـرةً أخرى لفعلنـا، كأن تبتلعـه الأرض فلا يرجـع، فتأمل[٢].

فهنـا كذلك فالأب عليه السلام أشـار إليهـم أني أعرف أنكـم لن تذهبوا بدونـه، وإن هـذه الرحلة إنـما هي لأجله.

وأيضـاً أنكـم لـن تأتـوا بـه مجـدداً، ولقـد أكـدت الآية هـذا المعنى بشـكل جـلي في السـياق ﴿**فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ...**﴾[٣]، وهـذا مـن قبيل قول الملـك في موطنـين ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ**﴾[٤]، أو كقول يوسـف عليه السلام

١- سورة المؤمنون: الآية ١٨.

٢- وكذلـك هـو نظـير قولـه تعـالى في سـورة البقـرة الآيـة ١٧ ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ**﴾ -فـلا رجعـة لأنـه ذهـاب بالـشيء، ألا تـرى للتأكيـد عـلى هـذا المعنى في الآيـة التاليـة -﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾، أو الآيـة ٢٠ ﴿**يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾.

٣- الآيات: ٥٠، ٥٤: من سورة يوسف.

٤- فالموطن الأول الآية ٥٠ من سـورة يوسـف، والموطن الثاني الآية ٥٤ من السورة=

لإخوته ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ...﴾، أو كقول يوسف عليه السلام ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي...﴾، وكل هذه الحالات فيها ذهاب بالشيء ولأجله، وهو بنفس ما تقرر سابقاً.

النكتة الثالثة: أنهم في الأولى -طلبهم ليوسف -يوحي بأنهم كانوا مصرِّين على أخذه، فتحديد الزمان إشارة لهذا المعنى ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾، فيحتمل أنهم كانوا سابقاً يطلبونه لكن الأب بدوره يؤجل ويُسَوِّفُ ويتعذر بأن الوقت غير مناسب ليذهب معكم...، لكنهم هذه المرة حددوا الوقت.

أما صيغتهم في الثانية فكانت مختلفة، حيث إن الأسلوب فيه تلطف ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا﴾، فلفظة أخانا تُشعر بهذا المعنى، بخلاف طلبهم ليوسف فلم يأتوا بما يدل على تلطفهم.

والغريب أنهم في طلبهم ليوسف كانوا أحوج لإظهار التلطف بمقتضى إصرارهم لأخذه، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: حتى اختلافهم في طريقة الكلام ليست فقط في الطلب وصيغته، بل في صيغة الرد فيما بعد.

= نفسها، ولكن بزيادة ﴿...أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ وهذه الزيادة إشارة لمعنى دقيق للغاية، لأنه في المرة الأولى لما نقلوا له كلام يوسف عن رؤياه لمس فيه الرشد وفي قائله الفطنة، ولكنه بعد التحقيق في القضية الأخلاقية بشأن النسوة اتضحت له شخصية يوسف ونزاهته وسمو أخلاقه، لذلك زاد في المرة الثانية ﴿...أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ فقد رأى في يوسف صفات من يأتمنه على عرضه وماله وخصوصياته.

تعال معي أيها القارئ للتأمل في الموقفين بلحاظ آخر غير ما سبق.

١. **فالموقف الأول:** عندما رجعوا إلى أبيهم بدون يوسف، وافترائهم بقضية الذئب قالوا ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾.

٢. **الموقف الثاني:** عندما رجعوا إلى أبيهم من غير بنيامين قالوا بعد البرهنة على دعواهم ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

* ففي الأولى: ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾.

* أما الثانية: ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

والفرق بأنهم في الأولى لم يكونوا صادقين فلم يجزموا به ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾، خلاف الموقف الثاني فهم يجزمون بصدقهم ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾، لذلك لم يكن في كلامهم نبرة من التردد كما في قضية يوسف.

بالإضافة إلى أنهم في الأولى افترضوا عدم تصديق الطرف الآخر لكلامهم فقالوا ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾.

فلم يكن بسياق الدعوة الأولى أداة توكيد، بعكس دعواهم الثانية ﴿...لَصَادِقُونَ﴾، والتي توافرت فيها أداتان للتأكيد (أنا – اللام في لصادقون).

أما بالنسبة لتوجيه بعض المفسرين ومحصله:

أن الإخوة إنما قالوا بشأن يوسف ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا

﴿صَادِقِينَ﴾، لأنك لن تصدق كلامنا بسبب إفراطك في حب يوسف.

وهذا توجيه قابل للنقاش.

لأن هذا الحب الذي يكنّه الأب ليوسف بدعواهم موجود ولعله بالدرجةِ نفسها لبنيامين أيضاً ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا﴾، ولو كان مرادهم من ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾، هو هذا الأمر لكرَّروه بعد الرجوع بدون بنيامين.

وهنا فائدة سلوكية: بأن الذي يدعي شيئاً -ويكون ادعاؤه عفوياً- ثم يفترض فيها تكذيب الطرف الآخر له، فدعوته مشكوك فيها.

بالإضافة إلى أنهم في الموقف الأول قالوا إنّا تركناه عند المتاع - وهذا تفريط منهم - ثم افتروا بقضية الذئب ...إلخ، ثم إنهم جاءوا بالبرهان على ذاك الافتراء وهو القميص الملطخ بالدم المكذوب ﴿وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾[1]، وقبل ذلك هو مجيئهم عشاءً يَبْكُونَ وهي إشارة لِلغة الجسد، فهم يعرفون أن أباهم قوي الفراسة والملاحظة، لذلك اختاروا وقت العَتمة فوقفوا في الظلام لأجل أن

١- ﴿وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ الغريب في الأمر أن الوصف بكونه دَماً كَذِباً جاء في سياق وصف أحداث، والمعتاد في هذه الحالة أن يأتي الوصف بكونه دماً فقط، أما كونه كذباً أو غير كذب هذا متروك للسامع أو المتلقي لذلك الخبر او للمدعي به أو بقرينة أخرى في السياق، وبغض النظر عن الغرض البلاغي لهذا الوصف أنه إظهار جانب المبالغة في كونه كذباً لوضوح تلفيقه. ويبقى التساؤل في الذهن مطروحاً.

لا يـرى تعابير وجوههـم وهم يـسردون الكذبة.

وأيضـاً وقت العشـاء لأن دعواهـم مقتضاها هو هـذا، لأن الذئب بطبيعتـه لا يخرج للافـتراس إلا ليلاً.

المهم أنك ترى الأدلة لهذه الدعوة كلها صادرة منهم.

بعكـس الأدلة التي سـاقوها في قضيـة بنيامين، فكلها ليسـت منهم (القرية-القافلة)[1].

١- ﴿وَاسْـأَلِ الْقَرْيَـةَ الَّتِـي كُنَّـا فِيهَـا﴾ ودليل القرية يختـزل في طياته شـهوداً عديدين، فالغـرض البلاغـي من قولهم (اسـأل القريـة) فيه لطيفة بـأن الخبر والواقعة مشـهورة، فلـو سـألت حتى الأطفـال وحتى العجـماوات بل حتـى الجمادات لأخـبروك بها، لأن الـكل قـد عرفهـا فقـد نـادى مناديهـم في الأرجـاء ﴿ثُـمَّ أَذَّنَ مُـؤَذِّنٌ أَيَّتُهَـا الْعِـيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾.

6 الإشارة السادسة

سني القحط

سِنِي القَحْط

«فأقبل يوسف على جمع الطّعام في السّنين السّبع الخصيبة يكسبه في الخزائن في سنبله، ثمّ أقبلت السّنون الجدبة، أقبل يوسف عليه السلام على بيع الطّعام، فباعهم في السّنة الأولى بالدّراهم والدّينار، حتّى لم يبق بمصر وما حولها دينار ولا درهم إلاّ صار في مملكة يوسف، وباعهم في السّنة الثّانية بالحلي والجواهر حتّى لم يبق بمصر حليّ ولا جوهر إلاّ صار في مملكته، وباعهم في السّنة الثّالثة بالدّواب والمواشي حتّى لم يبق بمصر وما حولها دابّة ولا ماشية إلاّ صارت في مملكة يوسف، وباعهم في السّنة الرّابعة بالعبيد والإماء حتّى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا أمة إلَّا وصار في مملكة يوسف، وباعهم في السّنة الخامسة بالدّور والعقار حتّى لم يبق بمصر وما حولها دار ولا عقار إلا صار في مملكة يوسف، وباعهم في السّنة السّادسة بالمزارع والأنهار حتّى لم يبق بمصر وما حولها نهر ولا مزرعة إلاّ صار في مملكة يوسف عليه السلام، وباعهم في السّنة السّابعة برقابهم حتّى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حرّ إلا صار في مملكة يوسف عليه السلام

وصـاروا عبيـداً له».

«إن الفقـرة لم تحتـوِ عـلى المعاني التـي تضمنتهـا القصـة القرآنية عن عـدل يوسـف ورحمته، بـل تجاوزتها، حتـى أصبحت عبـارة عن صورة فظـة لواقـع ممارسـة السـلطة دون التفـات منـه إلى مصلحـة الشـعب ومصالحـه، ودون رأفـة مـن جانبه بالإنسـان الـكادح...».

هـذا التعليق أوردتـه د. زاهية الدّجاني في كتابها «**يوسـف في القرآن الكريم والتوراة ص ١١**».

أقـول: في الوهلـة الأولى يتضـح لنـا هـذا المعنـى: أنـه مـن غـير المناسـب القـول بصـدور هـذا الفعـل مـن يوسـف في هـذا الظـرف.

كما ورد هذا المعنى في التعليق السابق.

ولكن ما رأيكم لو نظرنا للمسألة من زوايا أخرى؟

*** الزاويـة الأولى:** النـص السـابق حكاية لحدث تاريخـي، والحدث التاريخـي بـما هـو حـدث بطبيعتـه لا يُعَقْلـن، فالقـول بـأن هـذا الفعل صـدر مـن يوسـف أم لم يصـدر منـه، هـذا شـأن تاريخـي فـلا يـرد في خانـة أيعقـل أو لا يعقـل، وهـو موكـول للجنبـة والتحقيـق التاريخـي أو الروائـي، فالمـؤرخ هـو المخـول الـذي يملـك القـدرة عـلى الإثبات والنفـي هنـا، لأنـه بـكل بسـاطة حـدث تاريخي.

* **الزاويـة الثانيـة:** لـو نظرنـا للغاية من هـذا التصرف من يوسـف لاتضـح لنـا مـدى عبقريتـه عليه السلام في إدارة المصالـح في أشـد الظروف والأزمـات حلكـة، فـكان هـذا التـصرف منـه أجـلى المصاديـق عندما قـال عـن نفسـه ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[1]، لأنـه أراد بذلـك الحفاظ على مصالـح النـاس، واسـتثمار كل الطاقـات لتجـاوز تلـك الأزمـة، فمن الواضـح أن يوسـف لم ينجـح في تجـاوز تلـك الأزمـة فقـط، بـل المبهر -حقيقـةً- أنـه اسـتثمر تلـك الأزمـة لصالـح النـاس عامـة في مـصر وخارجها.

فمصر في ذلك الوقت كانـت في حالة أزمة اقتصادية وغذائية، ومن الطبيعـي في تلـك الأوضـاع أن تنتـشر فيهـا السرقات وتعـم الفوضى.

فـكان لابـد مـن تأمـين كل مقتنيـات النـاس والحفـاظ عليهـا، فكونـه أدخـل هـذه المقتنيات مـن ذهـب ومجوهـرات وأراضٍ وأموال

١- سـورة يوسـف الآيـة ٥٥، وهنـا لفتـة يجـب أن أقـف عندهـا وهـي أن الملـك قال لـه قبـلاً ﴿...إِنَّـكَ الْيَـوْمَ لَدَيْنَـا مَكِينٌ أَمِـينٌ﴾ لكـن يوسـف رد بقولـه ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِـنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيـظٌ عَلِيـمٌ﴾، فكأنـه يريـد أن يصـل لهـذا المعنى أني لسـت أميناً فقـط بـل حفيـظ، والحفـظ أخـص مـن الأمانة هنـا، لأننـي مقبل عـلى أعـمال تتطلب حفظـاً وعلـماً، وليـس مجـرد أمانـة، فهـي مـوارد غذائيـة، مواشي...إلـخ. فهـذه أمور تحتـاج حفظـاً ورعايـة وتنميـة، وليـس فقـط تخزينها، فناسـب الحفـظ هنـا، فليتأمّل. وهنـاك وقفـات أخـرى في الآيـة أحيلهـا للجـزء الثـاني مـن إثـارات قرآنيـة في إثـارة (يوسـف والملـك).

ومـواشٍ... إلـخ وكل مدّخـرات النـاس في أمـلاك الدولة، هـذا يعني أنـه ضـم كل ما في أيديهم لحراسـتها؛ فتكون بذلك مأمونـة من السرقة، ولـو كانـت حينهـا تحت تـصرف أصحابهـا لضاعـت، إما مـن السرّاق أو مـن سـوء التـصرف بهـا وفيها.

ذلـك أن المـرء بالأزمات غالبـاً ما يكون لديـه اسـتعداد للتفريط بما يملك في سبيل الحصول على الغذاء، وهذا أمر وارد وحاصل هنا، إضافة لإمكانية وجود أطراف تسـتغل الشـدائد للاحتيال على المحتاج ... إلخ.

* **الزاويـة الثالثـة:** أنـه كان محتاجـاً إلى كل الطاقـات للعمـل في الأزمـة، سـواء مـن المسـاحات الاسـتيعابية مـن الأراضي والمـواشي والأيـدي العاملـة ...إلـخ.

فلابـد مـن إدخالها تحت تـصرف الدولة ليتمكّن مـن التحكم بتلك الطاقـات بالشـكل الأنسـب، فكأنه اسـتعار النـاس واسـتعار منهم ما يدّخـرون لبعـض الوقـت، بدليل أنه بعد هـذه الأزمة أرجـع إلى الناس كل ما أخـذه منهم.

* **الزاويـة الرابعـة:** ليضمن يوسـف عليه السلام ويتجنـب تفشي ظاهرة الإسراف مـن النـاس، فالـذي يحصـل عـلى حصـة مـن الغـذاء وكان حصولـه عليهـا مرهونـاً أو مقابـل أرضـه أو رهـن ابنـه ... إلخ.

فمـن الصعـب عليه أن يفـرط في تلك الحصـة بسـهولة، لأن ثمنها

هـو رهن الغـالي والنفيس، وسيُحْسـن اسـتهلاكها بقدر الإمـكان تجنباً لرهـن شيء آخر.

* **الزاويـة الخامسـة:** فائـدة سـلوكية وهـي أنـه عليه السلام بهـذا الفعـل جعـل الناس يحسـون بقيمـة النعمـة عندما سـلبها منهم، ثـم ردّها، كما هـو نـص الروايـة «إنّي أُشـهِدُ اللهَ وأُشـهِدُك أيّهـا المَلِـك أنّي قـد أعتقتُ أهـلَ مِـصْرَ كُلَّهـم، ورَدَدْتُ عليهـم أموالَهـم وعَبيدَهـم»، فـلا يعـرف قيمـة الـشيء إلا فاقده.

* **الزاويـة السادسـة:** توسـيع القـوى الشرائيـة لبلـوغ الغـذاء لكل النـاس، فليسـوا كلهم يملكـون ذهباً أو مـالاً، فالـذي لا يملكه يمكنه الاسـتفادة مـن أخـذ حصتـه الغذائيـة برهن أرضـه أو بيتـه أو أي شيء آخـر كما روي عـن الإخوة أنهم كانوا يسـتبدلون الغـذاء بجلود الأنعام وهكـذا، فالكل كان يسـتفيد مما يملكه، وبذلك يسـتطيعون الاسـتفادة من هـذا المخزون.

وبهـذه المرونـة فقـد يحتمـل أن يكـون التوزيـع الـوارد في الأخبـار والـذي اتّبعـهُ يوسـف عليه السلام كان بشـكل أفقـي وليس عموديـاً، وهذا الاحتـمال وارد إذا نظرنـا لاختـلاف مدّخـرات النـاس والتفـاوت في الإمكانيـات.

وبغـض النظـر عن هـذه التعليلات التي اسـتنتجتها، ففي السـورة

ما يشير إلى هذا المعنى - أي أن هناك بنداً في دِينِ الملك (أملاكه)- ألا تلاحظ عندما ضم بنيامين إليه عبرت الآية بالدِينِ ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمُلِكِ﴾[1].

وهنا فائدة: توجد هناك خانة مخصصة لضم المدّخرات في خزانة الملك، ففي قضية بنيامين جعلها يوسف قيداً وتدبيراً احترازياً وهو أنه جعل الشيء المفقود خاصاً بالملك (صواع الملك) وليس ملكاً عاماً، حتى إذا طلبوا منه التنازل يمكنه الاعتذار بأن الأمر ليس بيدي، لأن ما وجدناه في متاع أخيكم هو من مقتنيات الملك: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ﴾[2].

توضيح:

قد يقول قائل: أنت قد رفضت إقحام العقلنة في أول الأمر - بالزاوية الأولى- ثم أتيت به في طيّات المناقشة لإثبات صحة الفعل؟!

فكيف تأتي بما فيه تناقض؟

فأقول: ليس الأمر كذلك، لأن العقلنة مرفوضة في الأمور التاريخية.

١- سورة يوسف: الآية ٧٦.

٢- سورة يوسف: الآية ٧٦.

فتارة أتحدث من جهة وقوع الفعل من عدمه.

وتارة أخرى أتحدث عن الغرض من الفعل، فهناك فرق بينهما.

فيوسف عليه السلام صدر منه الفعل أم لم يصدر، لا يصح إقحام العقلنة هنا، لأنه شأن تاريخي وموكول للمؤرخ أو للجنبة الروائية.

لكن ما هو غرض يوسف عليه السلام من هذا الفعل؟

فلا مانع ولا محذور أن نقحم العقلنة بهذا اللحاظ، أي ليس في خانة الفعل، وإنما في خانة الغرض منه.

وما فعلته هنا هو هذا، أقحمت العقلنة في الغرض من فعل يوسف عليه السلام، وليس في إثبات وقوع الفعل من عدمه، فليتأمل.

7 الإشارة السابعة

المتاع

المتاع

قد يسأل سائل بشأن قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1].

فما هو غرض يوسف من إرجاع بضاعتهم لهم سراً؟

وهنا فائدة أحب أن أذكرها في المقام قبل الدخول في المطلب.

أنَّ «لعلهم» في ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا - لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ليست للتردد وإنما تفيد الغاية، أي لغرض أن يعرفوها، ولغرض أن يرجعوا، وأغلب(لعل)، في القرآن هي بهذا المعنى(لغرض أن) خاصة إذا جاءت بضمير متصل[2].

نعود للآية فالتصور الأولي لهذا التصرف منه لإخوته هو استدراجهم للمجيء له في المرة المقبلة، ولكن هذا التصور غير كافٍ لأننا:

١- سورة يوسف: الآية ٦٢.

٢- وهذا بحث مستقل، سيتم تناوله في الجزء الثاني من كتاب إثارات قرآنية.

- تارة نتحدث عن هدف الفعل.
- وتارة نتحدث عن الغرض من أسلوب الفعل.

فلماذا أرجع يوسف لهم الثمن في رحالهم، ثم ما علاقة إرجاع الثمن باحتمال عودتهم، لأنه ربط بين الأمرين، فقال لغلمانه ضعوا الثمن الذي اشتروا به المتاع في رحالهم حتى يرجعوا فيما بعد إذا اكتشفوه.

فالحد الأقصى الذي كشفته لنا التفاسير، هو الهدف من فعله، وفي الواقع أن المفسرين لم يوفقوا في إيضاح الغرض الحقيقي لأسلوب الفعل، لأن هذا التعليل -لأجل أن يرجعوا في المرة المقبلة- تعليلٌ صريح على لسان يوسف ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

أي لأجل أن يعرفوها ولأجل أن يرجعوا، وبهذا فإن كلام المفسرين لا يُضيف شيئاً جديداً في المقام هذا من جهة.

ومن جهة ثانية: نحن نريد البحث هنا عن غرض أسلوب الفعل، وليس الهدف من الفعل.

فالسؤال المطروح لا يزال قائماً حتى بعد التخريج السابق.

فما هو الغرض من هذا الأسلوب الذي اتبعه؟

وكـما مرّ بيانـه بأن التصرف منـه عليه السلام لإرجاع المتاع بهـذه الطريقة لغرض اسـتدراجهم للعودة، توجيه غير تام وغير كافٍ لأسـباب منها:

الأول: أنـه عليه السلام أرجـع لهـم الثمـن سراً والمعـروف أنـه قـال لهـم علنـاً قبـل ذلـك ﴿أَلاَ تَـرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْـلَ وَأَنَـا خَـيْرُ الْمُنزِلِـينَ﴾، فلا حاجـة بـأن يكرمهـم سراً، حتـى يطمعـوا في هـذا الكرم.

الثـاني: نحـن هنـا في صـدد الـكلام عـن طريقـة الفعـل لا غايتـه، فغايتـه واضحـة كـما جـاء في كلامـه عليه السلام عندمـا قـال ﴿..اجْعَلُـواْ بِضَاعَتَهُـمْ فِي رِحَالِهِـمْ لَعَلَّهُـمْ يَعْرِفُونَهَـا إِذَا انقَلَبُـواْ إِلَى أَهْلِهِـمْ لَعَلَّهُـمْ يَرْجِعُـونَ﴾[1].

الثالـث: أنـه صرح لهـم؛ إذن لابـد مـن القول بـأن هناك سـبباً آخر يناسـب حكمته لهـذا التـصرف الغريب منـه في ظاهره.

أقـول: لمعرفـة هـذا السـبب يلزمنـا التوقـف والتمعـن في موقـف سـابق وهـو عندمـا طلـب يوسـف مـن إخوتـه الإتيـان بـأخ لهـم مـن أبيهـم، فـكان ردهـم ﴿سَـنُرَوِدُ عَنْـهُ أَبَـاهُ وَإِنَّـا لَفَٰعِلُـونَ﴾، فـإن ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُـونَ﴾ تأكيـد للفعـل أو تأكيـد للنتيجـة.

* للفعل أي إننا سنراوده قطعاً.

١- سورة يوسف: الآية ٦٢.

* أو أن يكون راجعاً للنتيجة أي بالإتيان به، أي إننا سنأتي به لا محالة برضى الأب أو بدونه.

وعلى كلا التقديرين -ولا منافاة للجمع بينهما- فسنفعل المراودة وسنعمل على الإتيان به، ولو كلفنا انتزاعه من أبيه، وهذا الأمر حصل منهم فعلاً، فقد استنفدوا كل أساليب الإقناع للأب، ولكنه لم يجدِ نفعاً في البداية، قبل رؤية متاعهم الذي أرجعه يوسف في رحالهم.

المهم... عندما سمع منهم يوسف تلك العبارة ﴿سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ حينها فقط، أدرك أن اخوته سيتسببون في فتح جرح جديد لأبيه، وليس عندهم مانع ولا مبالاة بأن يتسببوا في مشكلة أخرى.

فقرر أن يرسم خطة محكمة، تجعل الأب يسلم لهم بنيامين بنفسه، ويكون برضاه لا رغماً عنه.

فقال يوسف حينها: إن كان ولابد من الإتيان به، فلتكن بطريقتي أنا وتحت إشرافي غير المباشر، وليست بطريقتكم التي ستعقِّد الأمور.

والطريقة التي اتخذها هي التالي:

وضع ثمن البضاعة في رحلهم بدون علمهم، وحينما يرجعون لديارهم، ويعلم الأب بوجود الثمن بحوزتهم، حينها لن يقبل أن يستهلك أبناؤه بضاعة غير مدفوعة الثمن، والأب بدوره سيطلب منهم الرجوع لأداء ثمنها.

والحـال أن يوسـف قـد منعهـم مـن دخـول مـصر بـدون بنيامـين سـواء لغـرض الاكتيـال أو لأي غرض مهـما كان. وهذا واضـح لقوله لهم سـابقاً ﴿فَـإِن لَّمْ تَأْتُـونِي به فَلَا كَيْـلَ لَكُمْ عِنـدِي وَلَا تَقْرَبُـونِ﴾، فلو اكتفـى فقـط بــ ﴿فَـلَا كَيْلَ لَكُـمْ عِندِي﴾ وسـكت، لرجعـوا إليه بغير بنيامـين بحجـة إرجاع الثمـن لتلـك البضاعة.

ولكنـه أضـاف قيـداً آخـر وهـو ﴿وَلَا تَقْرَبُـونِ﴾، لضـمان الإتيان ببنيامـين حتـى لو كان الغـرض غير الكيـل، لذلك لما أن طلبـوا بنيامين مـن الأب في بدايـة الأمـر امتنـع واعتذر عن تسـليمه.

ولكنهـم حينـما فتحـوا الأمتعـة واكتشـفوا أن الثمـن لا يـزال في رحالهـم، عـاودوا الكـرّة مـرةً أخـرى ولكـن هـذه المـرة بحجـة الثمن ﴿وَلَمَّـا فَتَحُـواْ مَتَاعَهُـمْ وَجَـدُواْ بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِـمْ قَالُواْ يَا أَبَانَـا مَا نَبْغِي هَـذِهِ بِضَاعَتُنَـا رُدَّتْ إِلَيْنَـا وَنَمِـيرُ أَهْلَنَـا وَنَحْفَـظُ أَخَانَـا وَنَـزْدَادُ كَيْـلَ بَعِيرٍ ذَلِـكَ كَيْلٌ يَسِـيرٌ﴾.

وفي معنى ﴿مَا نَبْغِي﴾ ذهب المفسرون إلى مقاصد بعيدة.

فأقـول: والأصـح هـو أن مـا نبغـي مـن البغي وهـو التعـدي بغير حـق، أي لا نريـد أن نتعـدى بـأن نسـتهلك بضاعـة لم يدفـع ثمنها.

والأب بـدوره سـيجبرهم عـلى إرجاع الثمـن، والحال أن يوسـف قـال لهـم ﴿وَلَا تَقْرَبُـونِ﴾، فلا يسـتطيعون الرجوع إليـه في أي حال إلا بذلك الأخ[1].

١- ولكن أرجع فأقول الظاهر والله أعلم أن هذا الإجراء لم يكن نتيجة لقولهم،=

وأوضح دليل على أن الغرض من إرجاع الثمن ما قلناه هو أن الإخوة قبل اكتشاف البضاعة في رحالهم استنفدوا كل ما عندهم من حجج لأخذ بنيامين دون جدوى ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]، فلم يجدِ ذلك نفعاً ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[2]، لكن عندما فتحوا المتاع ووجدوا الثمن قد وضع في أمتعتهم، كرّوا إليه مرة أخرى وهم على أمل أن يسمح لهم، فقد اختلف الأمر الآن ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَـذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾[3]، فعندها اضطر يعقوب عليه السلام أن يسلّمهم بنيامين، ولكن بشروط تضمن سلامته ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[4].

= فيوسف أعد لهذا الإجراء مسبقاً بدليل أنه وضع لهم قيد ﴿وَلاَ تَقْرَبُونِ﴾ يوسف الآية ٦٦، قبل كلامهم هذا، ولكن بالنتيجة كان غرضه كما أسلفناه بالمتن، و﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاء اللهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾. يوسف: الآية ٧٦.

١- سورة يوسف: الآية ٦٣.

٢- سورة يوسف: الآية ٦٤.

٣- سورة يوسف: الآية ٦٥.

٤- سورة يوسف: الآية ٦٦.

* التفريع الأول: عطف الإخوة على بنيامين

قـد يقول قائـل: إذا كان الإخـوة قد تجرأوا عـلى ما هو أكـبر وهو العزم عـلى قتـل أخيهم الصغـير بالماضي، فما بالهـم الآن يتورّعون عـما هو أقل؟

أقول: نعم هذا صحيح، ولكن دعونا ننظر للمسألة من جنبتين:

* **الجنبـة الأولى:** هـي سـلوكية، قـد تجـد شـخصاً لا يغـدر ولكنـه سـيئ الخلـق والعكـس بالعكـس، وتجد شـخصاً دائـم الكـذب ولكنه لا يـسرق... إلخ.

فهـذه الأمـور تتفـاوت عنـد الشـخص نفسـه، فالإخـوة فعلـوا ما هـو أعظم وأبشـع ولكـن هذا لا يمنـع أن يتورّعـوا عن جـرم أقل منه، لأنهـا جنبة سـلوكية فالتفـاوت واردٌ.

* **الجنبـة الثانيـة:** أن لحاظهـم ودافعهـم بالتـذرع بالبغـي ليـس بالـضرورة تورعهـم عن اسـتهلاك مؤنـة لم يدفع ثمنها بـل بلحاظ آخر ... فهـم الآن بـين خياريـن:

* إما أن يأخذوه برضى الأب.
* أو ينتزعوه انتزاعاً!

قطعـاً أخـذه بـرضى الأب أسْـهل وأسْـلم لهـم، فلحاظهـم هنـا هـو الطريـق الأسـهل، وليـس بلحـاظ أخلاقـي، وإنـما اتخـذوا عـدم البغـي في كلامهـم ﴿قَالُواْ يَـا أَبَانَـا مَا نَبْغِـي﴾[1] ذريعـة، إضافة لضمان زيـادة الكيـل والاسـتزادة منـه في المـرات اللاحقة، كما صرحـوا بذلك

١- سورة يوسف: الآية ٦٥.

﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾[1]، فهذا المغزى -وأعني به زيادة الكيل كرّروه في السياق نفسه ثلاث مرات- فـ﴿نَمِيرُ أَهْلَنَا، وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ [فالذي عندنا الآن] كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾.

أو أن الكيل سيمنع منا مستقبلاً، فتكرار لفظ الكيل في سياق واحد يكشف عن مدى حرصهم عليه، إذن فهم حريصون على زيادة الكيل، وليس شيئاً آخر، بينما غرض يعقوب عليه السلام هو إرجاع الثمن.

وغرض يوسف عليه السلام من هذا أمور منها:

١) التنفيس عن الأب وأحزانه، لأنه لا يستطيع البوح بما في نفسه المثقلة بالهموم والأحزان بوجود بنيامين بينهم، وذلك للخوف عليه من إخوته، فالدافع الذي يدّعونه و الأمر الذي جعلهم يفعلون ما فعلوا بيوسف نفسه موجود لبنيامين ولعله بالدرجة نفسها ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا﴾[2]، وإن كانت السورة لم تتطرق لتفاصيله، ولكنه جاء على لسان يوسف وأشار إليه اجمالاً بقوله ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾[3].

لذلك بعد أن آوى يوسف إليه أخاه، ورجع الإخوة لأبيهم

١- سورة يوسف: الآية ٦٥.

٢- سورة يوسف: الآية ٨.

٣- سورة يوسف: الآية ٨٩.

بغير بنيامين، عندها فقط تنفس الأب الصعداء بعد طول كتم وكظم، وهذا مبحث سيتم الاستدلال فيه بالتفصيل عند إثارة (يعقوب وابيضاض العين).

٢) أنه أراد كشف شخصيته أمامهم، ولكنه خاف على بنيامين أن يؤذوه، لذلك عمد إلى انتزاع بنيامين منهم بحيلة السرقة، وكان نيته الكشف عن حقيقته لهم بأنه هو يوسف، وأنه قد غفر إساءتهم بحقه وعفا عنهم ...إلخ.

ألا ترى أنه حينما أخذ بنيامين وضمّه إليه، قالوا له ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾[1]، وهذه الكلمة منهم، كشفت ليوسف أمراً آخر، فكان من المقرر أن يعرفهم بحقيقته، ولكنه بعد هذه التهمة منهم عرف مدى حقدهم عليه رغم طول المدة، وما فعلوه سابقاً فيه من الأذى لم يكن كافياً لإطفاء نار الحقد تجاهه، فما زالوا يكرهونه بعد هذه المدة، لذلك ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾[2] أسرَّ ماذا؟ أسرَّ وكتم التصريح لهم بأنه أخوهم يوسف.

*** التفريع الثاني: إمتناع يوسف عن كشف هويته**

قد يقول قائل:

حسناً: لماذا لم يصرح ويكشف لهم بأنه يوسف وفي الوقت نفسه

١- سورة يوسف: الآية ٧٧.

٢- سورة يوسف: الآية ٧٧.

يقول لهم بأنه قد عفا عنهم وأظهر لهم علامات التودد والتسامح والعفو ...إلخ

أقول: ليس كذلك، لأن غرض يوسف ليس فقط أخذ بنيامين وضمانة سلامته، فهو ذو نفس راقية جداً فلا يريد أن يسترد إخوته بعد أن فرطوا فيه وهم على تلك الحالة والنفسية، وإنما المهم عنده أن تتلاشى الضغائن التي في نفوسهم، فتأمل معي كلامه في الأخير ﴿وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾[1]، فكان غرضه الأسمى والأهم أن يلتئم شملهم، ولكن بعد صفاء النفوس.

فما كان يريد إخوته بتلك الأحقاد الدفينة التي انكشفت له بكلمتهم تلك ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾، عندها امتنع عن تعريفهم بحقيقته والحال هذا.

انظر لقول يعقوب عليه السلام لهم فيما بعد ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ...﴾[2] والحال أن كلامهم وحججهم في قضية بنيامين صحيحة ولا غبار عليها، وليست كالأولى في دعوى الذئب، ولكن يعقوب عليه السلام كرّر عليهم العبارة الأولى نفسها، وقصده هو هذا المعنى أنكم لو لم تقولوا له تلك العبارة ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ...﴾ لأخبركم أنه هو يوسف وأنه قد عفا عنكم، ولكنكم بقولكم هذا منعتم عن أنفسكم خيراً كثيراً، وأخَّرتُم لقائي بيوسف[3].

١- سورة يوسف: الآية ١٠٠.

٢- سورة يوسف: الآية ٨٣.

٣- وهنا سؤال يُطرح بالمقام: هل علم يعقوب عليه السلام كان مقتصراً بكون يوسف

فائدة (كليّة)

إذا جاء لفظ (وصف) في السياق القرآني ومشتقاته «تصفون- يصفون» فاعلم أنها بمثابة الافتراء والتلفيق، وهي في ١٤ موطناً وهي:

١. ﴿وَجَعَلُواْ لله شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾[١].

٢. ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

٣. ﴿وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَالله الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[٣].

٤. ﴿قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَالله أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾[٤].

٥. ﴿وَيَجْعَلُونَ لله مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ

حياً يرزق؟! أم أنه عالم بكل التطورات التي حدثت ليوسف؟ وهذا بحث عميق، واختياري هو الثاني وأنه عالم بكل التفاصيل التي جرت ليوسف، وأدلتي عليه من السورة نفسها تفوق ١٤ دليلاً... أوكلها لمباحث آتية إن شاء الله تعالى.

١- سورة الأنعام: الآية ١٠٠.

٢- سورة الأنعام: الآية ١٣٩.

٣- سورة يوسف: الآية ١٨.

٤- سورة يوسف: الآية ٧٧.

الْحُسْنَى لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾[1].

٦. ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾[2].

٧. ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[3].

٨. ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[4].

٩. ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[5].

١٠. ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[6].

١١. ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[7].

١- سورة النحل: الآية ٦٢.

٢- سورة النحل: الآية ١١٦.

٣- سورة الأنبياء: الآية ١٨.

٤- سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

٥- سورة الأنبياء: الآية ١١٢.

٦- سورة المؤمنون: الآية ٩١.

٧- سورة المؤمنون: الآية ٩٦.

١٢. ﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[١].

١٣. ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٢].

١٤. ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٣].

١- الصافات: الآية ١٥٩.

٢- الصافات: الآية ١٨٠.

٣- الزخرف: الآية ٨٢.

8

الإشارة الثامنة

يَعقوبُ وابيِضاضِ العيَن

يعقوب وابيضاض العين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[1].

هنا سؤال يثار دائماً: كيف يبكي على يوسف وهو يعلم بأنه حي يرزق؟[2]

١- سورة يوسف: آية ٨٤.

٢- وهذا مفاد روايتين الأولى في وسائل الشيعة: ج٣،ص٢٨٢«عَنْ بَعْضِ مَوَالِي الامام علي بن الحسين زين العابدين السجاد عليه السلام، قَالَ: خَرَجَ يَوْماً إِلَى الصَّحْرَاءِ فَتَبِعْتُهُ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَجَدَ عَلَى حِجَارَةٍ خَشِنَةٍ، فَوَقَفْتُ وَأَنَا أَسْمَعُ شَهِيقَهُ وَبُكَاءَهُ، وَأَحْصَيْتُ لَهُ أَلْفَ مَرَّةٍ وَهُوَ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله حَقّاً حَقّاً، لَا إِلَهَ إِلَّا الله تَعَبُّداً وَ رِقّاً، لَا إِلَهَ إِلَّا الله إِيمَاناً وَصِدْقاً... ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ سُجُودِهِ وَ إِنَّ لِحْيَتَهُ وَ وَجْهَهُ قَدْ غُمِرَا بِالْمَاءِ مِنْ دُمُوعِ عَيْنَيْهِ فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي، مَا آنَ لِحُزْنِكَ أَنْ يَنْقَضِيَ، وَلِبُكَائِكَ أَنْ يَقِلَّ؟!

فَقَالَ لِي: وَيْحَكَ، إِنَّ يَعْقُوبَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ كَانَ نَبِيّاً ابْنَ نَبِيٍّ، وَكَانَ لَهُ اثْنَا عَشَرَ ابْناً، فَغَيَّبَ الله وَاحِداً مِنْهُمْ، فَشَابَ رَأْسُهُ مِنَ الْحُزْنِ، وَاحْدَوْدَبَ ظَهْرُهُ مِنَ الْغَمِّ وَالْهَمِّ، وَذَهَبَ بَصَرُهُ مِنَ الْبُكَاءِ، وَابْنُهُ حَيٌّ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَأَنَا رَأَيْتُ أَبِي وَأَخِي=

وللجواب: أقول التصور الأولي لهذا التساؤل ليس صحيحاً ومحله ليس هنا.

لأنه أولاً: هناك فرق جوهري بين الحالين[1]، لأن نبي الله يعقوب عليه السلام لم يكن منشأ حزنه الجهل بحال ابنه، أهو حي أم ميت حتى يُثار هذا التساؤل كيف يبكي مع علمه...إلخ.

وثانياً: أرجو الانتباه: إن البكاء هو أثر لوجود الحزن، ومحله هو القلب، فكون المرء حزيناً لا يعني بالضرورة أن يعبّر عن حزنه بالبكاء، فيعقوب كان حزيناً منذ إبعاد يوسف عنه وهذا مما لا ريب فيه.

ولكن هل تعبيره للحزن بالبكاء كان موجوداً وقتها أم لا؟ أم أنه حصل منه فيما بعد؟

= وَسَبْعَةَ عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي صَرْعَى مَقْتُولِينَ، فَكَيْفَ يَنْقَضِي حُزْنِي وَيَذْهَبُ بُكَائِي».

أقول: واضح أن الإمام عليه السلام قارن بين الأمرين بلحاظ الأولوية باستمرار الحزن وليس منشأ الحزن كما اتضح، فيقول الإمام إني أولى باستمرار البكاء وشدته بسبب فراق الأحبة بالطريقة البشعة، بالإضافة إلى أن الرواية ليس فيها إشارة لاستمرارية البكاء منذ غياب يوسف عنه وهذا ما أريده هنا.

ومفاد الرواية الثانية أن يعقوب حينما رآى ملك الموت فسأله عن يوسف فأعلمه الملك بأنه لم يقبض روحه فعلم نبي الله يعقوب عليه السلام ببقاء ابنه حياً.

وأقول هناك آيات في السورة تدل على علم يعقوب ببقاء يوسف على قيد الحياة من فراقه لحين لقائه به وسيأتي الكلام بشأنها في محله.

١ – بين علم يعقوب ببقاء ابنه يوسف على قيد الحياة، وبين حزنه عليه.

هـذه النقطـة جوهريـة وهي جديـرة بالطـرح والمداولـة في المقام، وهـي سـبب إثـارتي هنـا، فثمـرة هـذه اللفتـة تكمـن في إجابـاتٍ عـن سـؤالات عـدة في مجريـات القصـة.

فمثـلاً لمـاذا طلـب منهم يوسـف الإتيـان بأخ لهـم مـن أبيهم حين كان عزيـزاً بمـصر... وأمـور أخـرى سـتتضح لنـا فيـما بعـد، وهـذه الجزئيـات وغيرها سـيتم تناولهـا بالجزء الثـاني من الكتـاب لأنها تحتاج لمقدمـات، وليـس محلهـا هنا.

إذن هل كان بكاء يعقوب بصفة مستمرة أم لا.

فالآيـة بها دلالة واضحة[1]، بأن النبـي يعقوب عليه السلام أصابه العمى بسـبب شـدة الحزن المسـتلزم لحرقة البكاء، وليس بسـبب كثـرة البكاء.

قـال تعـالى ﴿ وَابْيَضَّـتْ عَيْنَـاهُ مِـنَ الْحُـزْنِ ﴾ ولم يقـل (مـن البكاء) فابيضـاض العـين راجـع للحـزن وليـس للبـكاء فتأمّـل جيداً.

وهذا فرق جوهري، سيأتي تفصيله في آخر البحث.

إذن «كيف يبكي مع علمه ببقاء ابنه حياً؟»

١- وحتـى روايـة الثـمالي عن الإمـام زيـن العابدين عليه السلام، أقـصى ما تدل عليه بشـدة البـكاء وحرقتـه، وحتـى لو سـلمنا بأنها تـدل على اسـتمراريته لمـدة طويله فإنها تشـير بـدءاً مـن غيـاب بنيامـين، وليس منذ غياب يوسـف، وسـيأتي بيانه في بحـوث أخرى.

هذا السؤال ليس بمحله.

* تارة نتحدث عن الحالة العقلية.

* وتارة عن الحالة النفسية.

فهناك فرق، تماماً كالذي يُطلب منه أن يستلقي بجنب جثة ميَّت... فنفسه لا تطاوعه الاستلقاء بجنبها، فلا يستقر له جِفن وهو بهذا الوضع، بالرغم أن عقله متيقن بأن الجثة محال أن تتحرك.

إذن عندما يكون الحديث عن الحالة النفسية فإنها ليست كالحالة العقلية.

والآية إنما تصف لنا حالة نفسية، وعليه يخرج هذا التساؤل من جو الآية سلفاً.

ومن جهة أخرى، في المنقولات بالتراث العربي «سألوا امرأة إعرابية: أي أولادك أحب إلى قلبك؟ فأجابت: الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يشفى، والغائب حتى يعود»[1].

السؤال بأن يعقوب عليه السلام كيف كان يبكي على ابنه مع علمه أنه لا يزال حياً، هذا ليس في محله، لأن الآية إنما تصف لنا الحالة النفسية التي كان يعقوب عليه السلام عليها، وفرق بين الحالة النفسية

١ – وإن كان هناك اختلاف، لأننا نتحدث عن بكاء أب لفراق ابنه، وليس للميل القلبي له، ولكني أوردها هنا بلحاظ الاشتياق الزائد للابن في هذه الحالات، فكون ابنه بعيداً عنه، وبالإضافة للطريقة التي أبعد بها، تجعل قلب الأب دائماً متوجساً.

والحالـة العقليـة كما سـبق.

فيعقـوب عليه السلام عقـلاً يعلـم ببقـاء يوسـف عليه السلام حيـاً يـرزق، ولكنـه حزيـن لأمـور عـدة: أولهـا: أن ابنـه هـذا ليس ابنـاً عاديـاً، فهو الذي سـيرث النبـوة، وثانيهـا: صفاته الكماليـة التي تجعـل كل من يراه يحبـه[1]، وثالثهـا: أنـه صغـير السـن، ورابعهـا: لإبعـاده وطريقـة نفيه.

وليس هناك تنافٍ بين العلم وبين الاطمئنان هنا.

وهـذا واضـح كـما هـو الحـال لنبـي الله إبراهيـم عليـه وعـلى نبينا وآلـه أفضـل الصلاة والسـلام ﴿وَإِذْ قَـالَ إِبْرَاهِيـمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَـى قَـالَ أَوَلَمْ تُؤْمِـن قَـالَ بَلَى وَلَكِـن لِّيَطْمَئِـنَّ قَلْبِي﴾[2].

فـالأب قد لا ينـام الليل مع علمه بمكان ابنه بعيـداً عنه، خصوصاً إذا كان حـدث السـن، فهـذا الحـزن منشـؤه هـو الحب وليـس الجهل، حتـى يُشـكل بكيف يبكي مـع علمه! فلا علاقـة للعلـم أو الجهل هنا.

بقَيت مسائل في الآية أثيرها لتـتم بها الفائدة:

١- قـد يقـول قائـل: إذا كان كذلك، فما بال الإخـوة يضمرون له العـداوة والبغض؟! أقـول الأمـر هنا مختلـف، فكلامـي في المتن ناظـر للطبع السـوي غير الشـاذ، والإخوة كانـت نظرتهم ليوسـف وأخيـه غير سـوية، وكانوا يعتبرونه منافسـاً، بل سـارقاً لقلب أبيهـم منهم بتصورهـم المريض.

٢- سورة البقرة: الآية ٢٦٠.

سورة يوسف[1] مبنية على التسلسل الزمني، فلا يسبق حدثٌ

١ - إشكالية كثيراً ما تطرح بين الناس في هذه الآية ونظيراتها، وهي: كون المعصوم يجهل أموراً معينة إلا يخدش ويقدح بعصمته، ولعل منشأ هذا الإشكال هو إيجاد حالة من التلازم بالأذهان بين العلم بكل الموضوعات والعصمة، وهذا المفهوم بثه بعض العلماء في خطاباتهم وأدبياتهم للناس، وكأن العصمة تنخدش في حالة عدم العلم بالتفاصيل، وإلا فما هو القول بشأن كثير من الأنبياء الذين يصرّح القرآن الكريم بأن الله أخفى عنهم بعض التفاصيل لمصلحة معينة، كعدم علم نوح عليه السلام بأن ابنه ليس داخلاً في وعد الله السابق بنجاة الأهل ﴿...**وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ**﴾ ٢٧المؤمنون، أو كصريح قوله تعالى إنك يا محمد صلى الله عليه وآله كنت من الغافلين ﴿**وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾٣ يوسف. فهل عدم علم المعصوم بها يخدش فيه؟ طبعاً لا.

أو عدم علم إبراهيم عليه السلام (مثلاً) بأن دعوته واستغفاره لعمه آزر لن ينفعه لوجود المانع وهو الشرك بالله ونصب العداوة ﴿**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ...**﴾ ١١٤التوبة، إذ وعد عمه آزر بالاستغفار له سابقاً ﴿**قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا**﴾٤٧ مريم.

وهنا فائدة وهي: أن آزر ليس والد إبراهيم وإنما هو عمه الذي رباه، وهو مستفاد من سياق الآيات فلم تقل إنه والده بل أباه، وفرق بين الأب وبين الوالد، فالوالد هو خصوص المنتسب بالصّلب، أما الأب أعمّ فيطلق على الوالد وعلى غيره ممن رباك أو كان له فضل عليك كمعلمك، أيضاً لو كان إبراهيم عليه السلام من صلب آزر أو ابناً مباشراً له، لما احتاجت الآية في سياقها لمزيد من التعريف، فأنت قد تنادي والدك (أبي) ولا تضطر للإتيان بتعريف آخر في ندائك، أما إذا كنت تنادي شخصاً آخر لست من صلبه فتحتاج إلى تعريف (أبي فلان) أو كنت تنادي أباك غير المباشر كجدك فتقول أبي فلان... فكون الآية جاءت باسمه في سياقها، فهذا دليل على أن آزر ليس والد إبراهيم عليه السلام.

حدثاً آخر ولا يتقدمه، وهذه نقطة جديرة بالتوقف عندها.

فرجوعاً لسياق الآية، يتضح لنا أمرٌ في غاية الدقة.

الآيـة قالـت ﴿وَابْيَضَّـتْ عَيْنَـاهُ مِنَ الْحُـزْنِ فَـهُـــوَ كَظِيـمٌ﴾[1] ولم تقـل (وهـو كظيـم)، كـما في غيرهـا مـن الموطنـين الواردين في المنوال نفسـه، الـذي جـاء فيهـا هـذا السـياق القرآني.

* الموطـن الأول: ﴿وَإِذَا بُـشِّرَ أَحَدُهُـمْ بِالأُنثَى ظَـلَّ وَجْهُهُ مُسْـوَدًّا وَهُوَ كَظِيـمٌ﴾[2].

* الموطـن الثـاني: ﴿وَإِذَا بُـشِّرَ أَحَدُهُـم بِـمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـنِ مَثَلا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْـوَدًّا وَهُـوَ كَظِيمٌ﴾[3].

* أمـا الموطـن الثالث: ﴿وَتَـوَلَّ عَنْهُـمْ وَقَالَ يَا أَسَـفَى عَلَى يُوسُـفَ وَابْيَضَّـتْ عَيْنَـاهُ مِنَ الْحُـزْنِ فَهُـوَ كَظِيمٌ﴾[4].

الآيتـان الأولى والثانيـة للموقـف نفسـه، وهـو الوصـف في حالـة التبشـير بالمولـودة.

فالمبـشر بالأنثـى كظيـم في الموقـف نفسـه - أي حـال البشـارة- لذلـك قالـت الآيتـان ﴿وَهُـوَ كَظِيـمٌ﴾.

١- سورة يوسف: الآية ٨٤.

٢- سورة النحل: الآية ٥٨.

٣- سورة الزخرف: الآية ١٧.

٤- سورة يوسف: الآية ٨٤.

أما في الآية الثالثة: عندما كان الحديث عن يعقوب عليه السلام قالت ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي أنه كان كظيماً، فابيضت عيناه من الحزن؟ لماذا؟ لأنه كان كظيماً.

فهو كان يكتم أحزانه وآهاته طوال غياب يوسف عنه، لذلك كان حرياً بهذا الحزن أن يسبب له غشاوة على عينيه. فقد كان هذا الحزن مكبوتاً بداخله، فكان يبكي بحرقة وحرارة.

فكأنما آية سورة يوسف تعلّل لنا سبب ابيضاض عينيه، خلاف آيتي التبشير بالمولودة، فهما تقتصران على بيان الحالة النفسية التي عليها الأب حالة علمه بأن المولود بنت.

فتكون الفاء في ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ سببية أو تفريعيّة.

وقفات مع آية الغيبة

9 الإشارة التاسعة

وَقفَات مَعَ آيَة الغِيبَة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيم﴾ آية ١٢، سورة الحجرات.

من باب التدبّر في آيات القرآن الكريم، هذه ست وقفات أحاول عرضها بشكل سريع.

* **الوقفة الأولى:** الظن أمر قلبي، فدفعه أو إيجاده ليس إرادياً فكيف تنهى الآية عنه! لذلك لم يقل لا تظنوا، فلم يأتِ بالنهي المباشر لأنه أمر لا إرادي، بخلاف التجسس أو الغيبة فهما إراديان في الدفع والإيجاد.

فمن الممكن القول بأن الآية تنهى عن خصوص الدافع السيئ للعمل، وهو الظن السيئ الذي يترتب عليه أثر في الخارج،

والذي يدفعك للتجسس، وليس مطلق الظن لأنه لا إرادة في إيجاده حتى نُخاطب بدفعه.

ولعلَّه إشارة أيضاً إلى النهي عن مقدمات الظن، وهي الاحتمالات، فعن الصادق عليه السلام «إِذَا بَلَغَكَ عَنْ أَخِيكَ الشَّيْءُ تُنْكِرُهُ فَالْتَمِسْ لَهُ عُذْرًا وَاحِدًا إِلَى سَبْعِينَ عُذْرًا، فَإِنْ أَصَبْتَهُ وَإِلا قُلْ: لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا لا أَعْرِفُهُ»، أما الآن انعكس تطبيقنا لهذه الرواية إلى - سبعين محمل من الشر - فإن نجا من الأول فلا ينجو من الرابع ... والعاشر... إلخ[1].

قال الإمام علي عليه السلام «اطلُب لأخيكَ عُذراً فإن لَم تَجِد لَهُ عُذراً فَالتَمِس لَهُ عُذراً»[2].

وعنه عليه السلام «ضَعْ أَمَرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ حَتَّى يَأْتِيَكَ مَا يَغْلِبُكَ، فَلا تَظُنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ شَرًّا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا مِنَ الْخَيْرِ مَحْمَلا»[3].

* **الوقفة الثانية:** العجيب في الآية أنها تأمر بالاجتناب عن الكثير من أجل ماذا؟! ﴿**اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ**﴾ لماذا؟ لأن ﴿**بَعْضَ الظَّنِّ**

١- من الواضح أن تعبير «إِلَى سَبْعِينَ عُذْرًا» هنا سياقها كناية عن الكثرة، وليس الدقة العددية، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً...**﴾ سورة التوبة: الآية ٨٠.

٢- المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٢، ب٦٢.

٣- أمالي الصدوق ص١٨٢.

﴿إِثْـمٌ﴾ وهـذا الأسـلوب فيه إشـارة لطيفة وهي تـدل عـلى أن الظن هنا أمر خطـير لأنه «كلما عظـم الخطر تشـدد الاحتياط»[1].

* **الوقفـة الثالثـة :** الآيـة لم تقل (إن بعضه إثـــم) وإنـما قالت ﴿إِنَّ بَعْـضَ الظَّـنِّ إِثْـــمٌ﴾ وليس كله، وفيه إشـارة أخرى بـأن الظن المنهي عنـه خفـي، فيصعب تميـيزه، أهـو داخـل في الظن الـذي سـأجتنبه أم لا... وهنـا تكمـن خطورته.

* **الوقفـة الرابعـة :** الترتيب في الآيـة جاء بصورة في غايـة الإتقان، فالظـن يتبعه التجسـس ثم تـأتي الغيبة ...ثلاثة جـاءت في الآية بناءً على الوضـع الطبيعـي، فالـذي يظـن ظنـاً معينـاً، لابـد أن يتحقق عن مدى صحتـه، وذلـك بالتجسـس ثـم يغتـب والغيبة لا تكـون غالبـاً إلا بعد التحقـق ﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِيـنَ آمَنُوا اجْتَنِبُـوا كَثِيرًا مِّـنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْـضَ الظَّنِّ إِثْـمٌ وَلا تَجَسَّسُـوا وَلا يَغْتَـب بَّعْضُكُـم بَعْضًـا...﴾، قـال النبي ﷺ: «إذا ظننتـم فـلا تحقِّـقوا، وإذا حسـدتم فـلا تبغـوا»[2]، فـلا تفتـح باباً لتـتحقق مـن الظـن الـوارد إليـك، لأنه يجرك للتجسـس عـلى أخيك.

١- وعـلى سـبيل المثـال قـد يسـوَّر حـي مـن الأحيـاء السـكنية مـن أجـل بيـت فيـه متفجـرات، وكلـما زاد خطـر المتفجـرات امتـد التسـوير ليشـمل بقعة أكبر وقد تسـور المدينـة بكاملهـا بسـببه، وهـذا يعتمـد عـلى مدى خطـورة تلـك المتفجـرات «لأنه كلما زاد الخطـر اشـتد الاحتيـاط».

٢- واللطيـف أن الخصلتـين الواردتـين في الحديـث، وهما الظن والحسـد، همـا دافعان نفسيان... فلا ينبغي أن تجرك الأولى لِلتجسس بحجة التحقق، ولا تجرك الثانية للحقد.

* **الوقفة الخامسة:** الفرق بين قوله تعالى ﴿تَجَسَّسُوا﴾ و﴿تَحَسَّسُواْ﴾ في سورة يوسف، والفرق واضح بينهما في الرسم بالنقطة تحت الحاء (تجسس- تحسس) ولعل الفرق في المعنى من ثلاث جهات[1] :ـ

* **الجهة الأولى:** الغرض، فالتجسس يأتي للأغراض السيئة، أما التحسس فيأتي للأغراض النبيلة.

* **الجهة الثانية:** الأسلوب، فالذي يتجسس غالباً ما يتمادى في الخوض في خصوصيات غير مكلف بالإتيان بها، أما الذي يتحسس فإنه يراعي الحدود التي كلفوه بها.

* **الجهة الثالثة:** الهيئة، فالتجسس يأتي في الأمور الخفية التي لا يرغب المرء في إظهارها للغير، أما التحسس فيأتي في الأمور الظاهرة، ألا ترى إلى قول يعقوب عليه السلام لأبنائه ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُف وَأَخِيهِ**...﴾[2].

* **الوقفة السادسة:** بما أن الآية في مقام إيصال معنى مُقَزّز، فناسب «مَيْتًا» بتسكين الياء، ولم يناسب «ميّتاً» بتشديدها، ولعل ذلك لأمرين:

١- وهذه الجهات ليست فروقاً بالدقة، وإنما هي بناءً على اللحاظات، والقدر المتيقن أن ما يحدد الفروق بين التجسس والتحسس هو الغرض أو الدافع.

٢- سورة يوسف: الآية ٨٧.

الأمـر الأول: أن تعبـير «مَيّـت» يمكن أن يـأتي لبيان القـوة، وليس شرطـاً للفعليـة، أمـا «مَيْتـًا» لا يكـون إلا للفعلية دون القـوة[1]، وهذا أظهـر للجـو العـام للآيـة، أي أنـك حينـما تغتاب تصـور كأنـك تأكل مـن لحـم جثة ميـت فعلاً، وهـذا التصـور مقـزز للنفوس السـوية.

وقد أنشد أحدهم في هذا المعنى بقوله:

«وَتَسْأَلُـــني تَفْسيرَ مَيْـتٍ وَمَيِّـــتٍ
فَـدونَكَ ذا التفسـيرُ إنْ كنـتَ تَعْـقِلُ

فَمَـــنْ كانَ ذا روحٍ فَذلِكَ مَـــيِّتٌ
وَما الـــمَيْتُ إلاَّ مَنْ إلى القَبْرِ يُحْمَلُ»

الأمـر الثـاني: أن الميت لا ينمو العضـو المبتور منـه أو يلتئم المتضرر منـه، فالآيـة كأنهـا لبيـان أن المغتـاب لا يترك بمجـرد الاسـتغفار، لأن المغفـرة هنـا متوقفـة على عفو مـن اغتابـه، فعنـه ﷺ «إِيَّاكُـمْ وَالْغِيبَةَ فَـإِنَّ الْغِيبَـةَ أَشَـدُّ مِـنَ الزِّنَى. قَالُـوا: يَـا رَسُـولَ اللهَّ، وَكَيْفَ الْغِيبَةُ أَشَـدُّ مِـنَ الزِّنَى؟ قَـالَ: إِنَّ الرَّجُـلَ قَدْ يَزْنِي، ثُمَّ يَتُـوبُ فَيَتُـوبُ الله عَلَيْهِ، وَإِنَّ صَاحِـبَ الْغِيبَـةِ لا يُغْفَـرُ لَهُ حَتَّـى يَغْفِرَ لَـهُ صَاحِبُهُ»[2].

١- ومثال القوة هي البذرة قبل زراعتها فيصح أن يقال إنها شـجرة بالقوة أي لها قابلية أن تصبـح شـجرة، ومثـال الفعلية هي البـذرة بعد زراعتهـا وصيرورتها شـجرة فعلاً.

٢- النـوري، مسـتدرك الوسـائل، ج٩، ١١٨، كتـاب الحج، أبواب الأحـكام العشرة، ب١٣٢، ح٢١.

وعـن الباقر عليه السلام: «الظلـم ثلاثة: ظلم يغفـره الله، وظلم لا يغفره الله، وظلـم لا يَدَعـه... إلى أن قـال ... وأمـا الظلـم الـذي لا يدعـه الله عـزّ وجـلّ فالمداينة بين العبـاد»[1].

١ - أمـالي الصـدوق: ص١٥٣، ونصـه كامـلاً «الظلـم ثلاثة: ظلـم يغفـره الله، وظلم لا يغفـره الله، وظلـم لا يَدَعـه: فأمـا الظلـم الـذي لا يغفـره الله عـز وجـل فالـشرك بـالله. وأمـا الظلـم الـذي يغفـره الله عـز وجـلّ فظلـم الرجـل نفسـه فيـما بينـه وبـين الله عـزّ وجـلّ، وأمـا الظلـم الـذي لا يدعـه الله عـزّ وجـلّ فالمداينـة بـين العبـاد».

أَنْتَ الآنَ في عَصْرِ الظُّهُور

10 الإشارة العاشرة

أنتَ الآنَ في عصرِ الظهورِ

«اقترب الظهور»[١]، «الحرب الأمريكية ضد الإمام المهدي»[٢]، «مئتان وخمسون علامة»[٣]، «عصر الظهور»[٤]، «جميع الأديان تقول إنه عصر الظهور»[٥]، «زوال إسرائيل عام ٢٠٢٢م نبوءة أم صُدَف رقميّة»[٦]، «استعدوا فإن الظهور قريب»[٧]...إلخ.

نظريات[٨] وعناوين تظهر بين الحين والآخر، كلها عبارة عن

---

١ - تأليف عبدمحمد حسن، دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٦، وقد اخترته للمناقشة كأنموذج لهذا النهج، وإلا فهناك غيره كثير بالنمط نفسه.

٢ - تأليف ماجد المهدي.

٣ - للسيد محمد علي الطباطبائي.

٤ - لعبد محمد حسن وهو المؤلف السابق نفسه.

٥- فارس فقيه، وله مؤلف آخر بعنوان هذا المقال نفسه (أنت الآن في عصر الظهور).

٦- لبسَّام جرّار.

٧ - للسيد حسين حجازي.

٨- وهذا النهج ليس جديداً وإنما متكرر، فأبان الدولة الصفوية التي مضى عليها أكثر من خمسة قرون، وكانت بدايتها عبارة عن حركة يقودها الشيخ صفي الدين=

تطبيقات لبعض الروايات في وصف الأحداث قبل- وأثناء - وبعد ظهوره الشريف، وهذه العناوين تظهر غالباً بعد إرهاصات عسكرية، واحياناً تداعيات سياسية عنيفة في المنطقة.

وهذه التطبيقات لا تعدو عن كونها مجرد تشخيصات وهي قابلة للمناقشة.

والغريب في الأمر أن هذه البحوث غالباً تبدأ باستعراض الروايات التي تنهى عن التوقيت، ويبرر الكاتب لهذا البحث أنه ليس من الموقتين أو أن الروايات التي تنهى عن الأخذ بقول الموقتين لا تشمله ولا تنهى عن نهجه، وأدلته بذلك غير ناهضة[1]، في حين أن بحثه يشتمل على تواريخ محددة، وهذا ديدن كل من ينتهج هذا النهج، أن ينفي كونه من الموقتين في صدر البحث بينما في طياته، يذكر تواريخ بالسنوات.

= الأردبيلي، وطريقتها الصوفية في أردبيل (أذربيجان) ١٣٠٠م، إلى أن أصبحت أردبيل عاصمة دينية، ثم سياسية لأتباعه - مع تحولها إلى حركة سياسية- بتولي زعامة الدولة إسماعيل الصفوي عام ١٤٩٤م، كان الاعتقاد السائد أن تلك الدولة هي الممهدة لظهوره عليه السلام وستسلم الراية له، ففي كل فترة يظهر موقِّت جديد كسابقه...إلخ، كما سيأتي تفصيله.

١- إذ يذهب بأن بعض الروايات التي تحدد ظهوره بشهر أو شهرين بعد وقوع إحدى العلامات، ومناقشته أنه من أين جزم أن العلامات الحالية هي من العلامات الحتمية، كما سيأتي بيانه في آخر البحث.

فأتساءل حينها...إذا لم يكن هؤلاء موقتين، فمن هو الموقت إذن؟

وقبل الاسترسال في هذه الإثارة، أودّ أن أذكر توضيحات ثلاث لِتجنب الالتباس.

* التوضيح الأول:

قد يقول قائل: توقّع ظهوره وانتظار الفرج والدعاء بتعجيله، نحن مأمورون به فلا ضير من التوقع له في كل فترة، بل لا ضير من تجديد ذلك التوقّع بين الحين والآخر.

أقول: توقّع الفرج في أي لحظة هذا أمر جيد بحد ذاته وهو المطلوب، لأنه يبدل الآلام إلى آمال، ولكن كلامي هنا عن من يَجزم بظهوره في فترة محددة، تماماً كما يتوقّع الإنسان الموت في أي لحظة، وهذا أمر مطلوب لحصول الحذر وإعادة الحسابات قبل وقوعه، ولكن أن تَجزِم بحصوله في وقت محدد، فهذا غير طبيعي وتكهن غير صحيح.

فترقّب ظهوره (عج) والدعاء بتعجيل الفرج نحن مأمورون به، أما التكهن بوقت ظهوره فهذا أمر آخر وهو منهي عنه، وهذا ما سيتم بحثه هنا.

* التوضيح الثاني:

ويقول آخر: توجد بعض الروايات التي تحدد ظهوره الشريف أنه يوم الجمعة أو العاشر من شهر محرم الحرام، أوالثالث والعشرون من شهر رمضان[1].

في حين أن هناك - في المقابل- طائفة من الروايات تنهى عن التوقيت!

الآن كيف نوفِّق بين الطائفتين؟

أقول: يمكننا أن نقسم هذا النمط من الروايات إلى قسمين الأول الذي فيه تحديد اليوم والشهر، والثاني الذي فيه تحديد عدد الأيام لظهوره.

فمثال الأول: ٢٣ من رمضان، أو عاشر محرم...إلخ.

ومثال الثاني: الروايات التي تتحدث عن العلامات الحتمية أن الفاصل بين بعض الأحداث لا يتجاوز الشهر أو ثلاثة أشهر أو الأحداث التي تتعاقب وتكون في السنة نفسها.

وعليه لا يوجد حينئذٍ أي تعارض بين الروايات الناهية عن

١- أخبرنا علي بن الحسين ... عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام «... ولا يخرج القائم حتى ينادى باسمه من جوف السماء في ليلة ثلاث وعشرين [في شهر رمضان] ليلة الجمعة ..» بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٧٤.

التوقيت وبين هذا النمط، خاصةً إذا فهمنا المراد من التوقيت المنهي عنه وتوضيحه:

أقول: (مثلاً) هذا حدث سيقع في يوم السبت الثامن من شهر رجب.

فيوم السبت يتكرر كل أسبوع وأيضاً شهر رجب يتكرر كل عام، ومن المحتمل أن اليوم الثامن من رجب والذي يوافق يوم السبت يتكرر في أعوام عدة. أليس كذلك.

وتارةً أخرى: أقول يوم السبت الثامن من شهر رجب لعام ١٤٣٣هـ مثلاً، فهنا نقع في المحذور، فهذا هو التوقيت المنهي عنه لأنه يحتوي على مفردة لا تتكرر في المنظومة الزمنية، ألا وهي مفردة (العام) المقيَّد بشهر ويوم معيَّنين.

إذن الروايات التي تحدد الشهر أو اليوم لا تعارض بينها وبين الروايات التي تنهى عن التوقيت، لأن مدار النهي إنما هو بلحاظ المفردة التي لا تتكرر.

والروايات التي تحدد اليوم أو الشهر قابلة للتكرار في أكثر من عام، فلا تعارض بين الروايات ههنا، هذا من جهة...

ومن جهة ثانية: أنه حتى لو سلمنا أن المذكور في الروايات فيها

تحديد لعام ظهوره، وأنها من التوقيت فلا ضير منه، لأن الروايات الناهية إنما يُفهم منها المنع من الأخذ بكلام غير المعصوم في هذا المورد، وهذا الكلام والتوقيت من معصوم، وعليه فتخرج هذه الطائفة من الروايات من موطن التعارض سلفاً.

وعليه فالروايات التي تنهى عن التوقيت إنما هي لغير المعصوم، فلو جاء التوقيت على لسان المعصومين عليهم السلام فلا ضير منه، لأنها من جهة مخوَّلة بالكلام والخوض في الأمور الغيبية من الله سبحانه.

*** التوضيح الثالث:**

قد يقول أحد الكتّاب لهذا النهج، لستُ من الموقتين، لأنني لا أذكر تواريخ وإنما أقارن بين الأحداث الواقعة والمتوقعة وروايات عصر الظهور، وأستخرج التشابه في وصف بعض الروايات على تلك الأحداث أو الأشخاص، وبذلك أتوصل لنتيجةٍ مفادها، أننا شارفنا على ظهوره في هذا الجيل، أو جيل معين.

أقول: هذا أيضاً قابل للنقاش: فالذين ينتهجون هذا النهج صنفان:

١- صنف يوقت بتاريخ محدد وسنة محددة كما سبق.

٢- وصنف آخر يوقت ولكن بذكر تطبيقات على أحداث وشخصيات.

وهـذا توقيـت غـير مبـاشر، لأنـه يوقـت مـن حيـث يشـعر أو لا يشـعر، لأن القـارئ لتلـك التطبيقات يتوصـل إلى نتيجة واحدة سـواء قـرأ تواريـخ أم قـرأ تطبيقـات، لأن الكاتـب لها يحصر زمـن الخروج في جيـل معـين كما في كتاب «اسـتعدوا فإن الظهور قريب» للسـيد حسـين حجـازي[1]، حيـث قـال في ص ٨ مـن كتابـه «والآن وبـدون أن نحدد تاريخـاً للفـرج- إلى أن يقـول - حتـى كبار السـن يجـب أن يكونوا على أمـل رؤيـة مولانـا في حياتهـم ...إلـخ»، وإن كان مفـاد هـذا الكلام لا بـأس بـه لأنـه في سـياق الأمـل الـذي حثـت عليـه روايـات مـن أهل العصمـة عليهم السلام.

وهـذا في أول كتابه، لكنه في صفحة ١٣٦ يقول ما نصه «وسـيخرج يـوم الجمعـة الموافـق ٦ رجـب ١٤٢٨ بتاريـخ ٢١ يوليـو ٢٠٠٧»، والطريـف في الأمـر أنـه في الصفحـة نفسـها يذكـر تاريخـاً مغايـراً «... ظهـور الإمـام المهـدي عليه السلام في ١٩ يناير٢٠٠٨، كما سـنبيِّن في الفصل الأخـير من هـذا الكتـاب» انتهـى كلامه.

وهذه السـياقات كثيراً ما تجدها حتى في كلمات بعض الشـخصيات العلميـة، كـما ينقل عن الشـيخ بهجت رحمـه الله «إن كهـول هذا العصر سوف يشـهدون ظهور الإمام».

١- إصدار دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ١٤٢٧هـ.

وهـذا الـكلام فيـه نظـر، لأنـه توقيـت غير مبـاشر مـن جهة حصر زمـن ظهـوره الشريف في جيـل أو أجيـال معينة.

وهذا توقيت وإن اخُتلِف في طريقة عرضه لأن المؤدى لهذا هو ذاك.

وخلاصـة مـا مـرّ: أن التوقيـت تـارة يكـون صريحـاً بذكـر مفـردة زمنيـة لا تتكـرر وهـي تحديـد العـام، فيقال مثـلاً، ظهـوره الشريف في عـام ٢٠١٧.

وتـارة غـير صريـح، أي بتحديد جيـل معين كما سـبق: «إن كهول هذا العصر سـوف يشـهدون ظهـور الإمام».

وكلا النهجـين يشـملهما التوقيـت المنهي عنه في الروايـات، غاية ما في الأمـر أن الأول توقيـت بآليـة الزمن، والثـاني توقيـت بآلية الحدث، والناتـج والموصل لهـما واحد، والاختـلاف في الطريق إليـه، والعبرة في الروايـات الناهيـة، إنما هـي للناتج والآليـة معاً.

فهذه التخمينات والتشخيصات قابلة للنقاش من جهات أربع.

والمقدمـات الأربـع جديـرة بالتمعـن فيها، وكـما أنني هنـا قد أورد مصطلحـات لبعض المفـردات، كـما في المقدمة الأولى لغرض التسـهيل عـلى القراء.

المناقشة

*** المقدمة الأولى:**

الوعـد الإلهي[1] لابـد أن يتحقـق، ولكن وقوعه في الخـارج يكون عـلى نحوين.

*** النحو الأول: معلوم.**

*** النحو الثاني: مُعـلَّـم.**

فـالأول كـما في قصتـي النبـي صالـح والنبـي لـوط عليهما السلام ومرادي مـن المعلـوم هـو ذلـك الوعـد الـذي وقتـه الله تعـالى وأخـبر بوقوعـه بموعـد محـدد، فقـال في شـأن صالـح عليه السلام[2] ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[3].

وفي شـأن لـوط عليه السلام ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾[4].

١- يقـال إن الله لا يمكـن أن يخلـف وعـده، ولكنـه قـد يخلـف وعيـده، والفـرق أن الوعـد غالبـاً مـا يكـون في الرحمـة والوعيـد يكـون في العـذاب، فهـو تعـالى قـد يغفر فيخلـف وعيـده لأن رحمتـه سـبقت عذابـه، فيبـدل العـذاب بالرحمـة.

٢- وإن كان الوعـد معلومـاً بشـأن النبـي صالـح عليه السلام يحتـوي عـلى قيدٍ آخـر إضافة عـلى كونـه وعـداً مُعّلـماً، وهـو وعـد مـشروط ومرهون بوقـوع الفعـل، فيكون أشـبه شيء بالأثـر الوضعـي كالاقـتراب مـن النـار. فالوعد الإلهي لقـوم صالـح كان متوقفاً عـلى إيقـاع الذنـب وهو عقـر الناقـة وفصيلها.

٣- سورة هود: آية٦٥.

٤- سورة الحجر: آية٦٦.

والثاني: وعد مُعَلَّم فهو وعد إلهي، ولكنه بموعد غير مذكور، وإنما بعلامة تدل على قرب وقوعه، كالوعد بقيام الساعة ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾[1].

أو كما في شأن النبي نوح عليه السلام، فقد وعده الله بنزول العذاب، ولكنه جعل توقيت هذا الوعد مرهوناً بعلامات تسبقه[2].

إذن الوعد الإلهي لابد من تحققه، ولكنه تارة يكون بوقت مُصرح معلوم، وتارة يكون مُعَلَّماً ومرهوناً بعلامات كما مرّ.

والخلاصة التي أريدها هنا أن الوعد بقيام الحجة المنتظر (عج الله فرجه) لابد وأن يتحقق، ولكن السؤال الذي أطرحه على القراء: أهو على النحو الأول أم هو على النحو الثاني؟

طبعاً... لا شك أنه على النحو الثاني، أي أنه وعد بعلامات وليس محدداً بتوقيت معلوم. فهو أشبه شيء بالوعد ليوم القيامة، كما هو المستفاد من بعض السياقات الروائية بأن يوم الظهور كيوم القيامة.

بعد الانتهاء من المقدمة الأولى نأتي للمقدمة الثانية.

١- سورة محمد: آية ١٨.

٢- وهي أنك يا نوح إذا رأيت التنور، قد فَار فاعلم أن الوعد قد حان، قال تعالى ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا - فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾، المؤمنون: الآية ٢٧.

*** المقدمة الثانية[1]:**

كم مضى على نزول القرآن الكريم؟

ما يزيد على أربعة عشر قرناً، ولكننا نرى أن الخطاب القرآني يُصرِح في أكثر من موطن بشأن قيام الساعة أنه قريب ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾[2]، وقوله ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾[3]، والحال أن هناك أجيالًا تعاقبت ومن المحتمل وجود أجيال أخرى تتعاقب وتتعاقب، بينما الخطاب القرآني يصرح بقرب قيام الساعة.

السؤال: كيف نفهم المراد من هذا القرب[4]؟

ولفهم المراد من القرب هنا علينا النظر للحدث وحجمه وليس لمدته.

وللتوضيح أورد مثالاً: لو أن هناك توقعات عن حدوث هزتين أرضيتين واحدة في اليابان وأخرى في دولة ذات إمكانيات متواضعة، بعد عشر سنوات.

في اليابان سيكون الوضع بالنسبة إليها حدثاً شبه عادي، أما

١- هذه الجهة - الثانية - أوردها وهي أشبه شيء بالجواب النقضي.

٢- سورة القمر: الآية ١.

٣- سورة الأنبياء الآية١.

٤- طبعاً هناك رواية عنه ﷺ مفادها (من مات قامت قيامته)، ولا منافاة بينها وبين الوجه المذكور.

الدولة الأخرى فستعلن حالة الطوارئ القصوى، بينما هو الحدث نفسه، والمدة نفسها، ولكن أين الاختلاف؟

والجواب: الاختلاف هو استعداد الدولتين لهذا الحدث.

فاليابان مثلاً لديها الاستعدادات اللازمة لتلقي هكذا واقعة، بينما الدولة الأخرى ليس لديها استعداد لذلك، فقد تُعلن حالة الطوارئ القصوى ولا وقت كافياً لديها لاتخاذ الإجراءات الوقائية.

بينما اليابان قد لا تُعلن حالة الطوارئ، وإنما تكتفي ببعض الإجراءات البسيطة لهذا الأمر، الآن ما هو السبب لهذا الفرق بين ردة الفعل بالنسبة للدولتين؟

قد يكون راجعاً لأمرين أو لأحدهما:

* **فالأول:** حجم وأهمية الحدث.
* **الثاني:** الاستعداد له، والتأقلم معه.

فاليابان لديها استعدادات وقائية لحدوث مثل هذا الأمر، فأصبح شبه اعتيادي.

أما الدولة الأخرى فليس لديها استعداد لمثل هذا الظرف، فتعلن بذلك قرب وقوع الهزة -وهو قرب بالنسبة إليها- أما لغيرها فليس بقريب.

إذن قرب الحدث يكون بلحاظ (حجمه + المتلقي له) وإن كان

وقوعـه بعد مئات السـنين.

وهنـا في الآيـات التـي تتحـدث عـن قـرب يـوم القيامـة ناظـرة لجهـات عـدة، ومنها هذا المعنـى، وهو القرب النسـبي - نسـبة لحجمه وخطورتـه - وليـس لقربـه الزمني[1].

فقيـام السـاعة حـدث فريـد مـن نوعه، وهـو عظيـم ومهـول ﴿يَا أَيُّهَـا النَّـاسُ اتَّقُـوا رَبَّكُـمْ إِنَّ زَلْزَلَـةَ السَّـاعَةِ شَيْءٌ عَظِيـمٌ * يَـوْمَ تَرَوْنَهَـا تَذْهَـلُ كُلُّ مُرْضِعَـةٍ عَـمَّا أَرْضَعَـتْ وَتَضَـعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْـلٍ حَمْلَهَـا وَتَرَى النَّـاسَ سُـكَارَى وَمَـا هُـم بِسُـكَارَى وَلَكِـنَّ عَـذَابَ اللهِ شَـدِيدٌ﴾[2]، فالآيـات تعـبر عـن أن يـوم القيامـة قريـب بلحاظـات عـدة منهـا:

* **اللحـاظ الأول:** لأن النـاس لم يعتـادوا عليـه، فهـو حـدث فريد ولا يتكـرر.

* **اللحـاظ الثـاني:** لأن النـاس ليسـوا مسـتعدين وهـم غافلـون عنـه، وذلـك لقولـه تعـالى ﴿اقْـتَرَبَ للنـاس حسـابهم وهـم في غفلـة معرضـون﴾[3] أو لقولـه تعـالى ﴿أَفَأَمِنُـواْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِـيَةٌ مِّـنْ عَذَابِ

١- وإن كان القـرب الزمنـي أيضـاً معنـى صحيحـاً، ولكننـي أوردت المعنى النسـبي لأنـه أيضـاً مـراد في سـياق الآيات.

٢- سورة الحج: الآية٢.

٣- سورة الأنبياء آية ١

الله أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾[1].

* **اللحاظ الثالث:** لأنه حدث عظيم وخطير، وذلك لقوله تعالى ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ...﴾[2].

ما أريد قوله هنا أن هناك طائفة من الروايات قد يوظفها البعض في الاستدلال على قرب ظهوره الشريف.

ولكننا يجب أن نقرأ تلكم الروايات بالذهنية نفسها التي نقرأ بها الآيات الواصفة لقرب قيام الساعة.

وأن هذا القرب من مراداته القرب النسبي – أي نسبة للحدث وليس الزمن– فهو رد أشبه ما يكون بالجواب النقضي.

* **المقدمة الثالثة:**

أوحى الله تعالى لعمران أنه سيكون من صلبك نبي مرسل من أولي العزم، فأخبر زوجته بهذا الأمر.

فنذرت بأن جنينها سيكون خادماً لبيت المقدس، لأنه ذكر بناءً على الوعد الإلهي[3].

١– سورة يوسف: الآية ١٠٧.

٢– سورة الحج: الآية ١.

٣– وذلك لقوله تعالى حكايةً عنها ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ=

فكان توقع عمران وزوجته أن وعد الله سيتحقق بهذا المولود القادم، وإذا بالمولـود أنثى لذلـك انبهـرت ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى﴾.

ولكـن مـع مـرور الأيـام والسـنوات انكشـف لهـم حقيقـة الحال، بـأن وعـد الله بالنبي، ليـس الولد المباشر وإنـما هو الحفيـد، فلما أنجبت مريـم ابنها النبي عيسـى عليه السلام أدركـوا أن وعد الله السـابق كان متعلقاً بجيـل آخر.

مـا أريـد الوصـول إليـه هـو: قـد تصـف لنـا بعـض الروايـات رجـالات، وهـذا الوصف قـد ينطبق على شـخوص متواجديـن حالياً أو بوصـف مقـارب لهـم.

ولكـن هـذا ليـس مـبرراً كافيـاً بالجـزم لتوقيـت الظهـور، فليـس شرطـاً أن يكـون هـذا الشـخص بذاتـه هـو المقصـود، وإنـما قـد يكون المقصـود ابنـاً مـن سـلالته أو مـا شـاكل.

كـما أن الله وعـد عمـران وزوجـه، بـأن المولـود القادم نبـي، ولكن اتضـح أن الوعـد لم يكـن متعلقـاً بذلـك الجيل وإنـما بجيل قـادم، وأن النبـي ليـس ابنـه المبـاشر، بل هـو من صلبـه أو سـبط له.

كذلـك الروايـات، لا نسـتطيع الجزم بأنهـا تتكلم عن الجيل نفسـه،

=مَـا فِي بَطْنِـي مُحَـرَّرًا فَتَقَبَّـلْ مِنِّـي إِنَّـكَ أَنـتَ السَّـمِيعُ الْعَلِيـمُ * فَلَـمَّا وَضَعَتْهَـا قَالَـتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَـا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَـمُ بِـمَا وَضَعَـتْ وَلَيْـسَ الذَّكَـرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَـمَّيْتُهَا مَرْيَـمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَـا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّـيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، سـورة آل عمـران: الآية٣٦.

اعتماداً على الوصف المنطبق على الأحداث أو الشخصيات، وإنما من المحتمل أنها تتحدث عن أجيال قادمة.

فضلاً عن أن هناك بعض الإشارات بأنه حتى العلامات الحتمية أيضاً خاضعة للبِداء؛ فيمكن أن تقع ويمكن أن لا تقع.

والأمر الوحيد المؤكد هو حتمية ظهوره الشريف، أما ما عداه - حتى العلامات الحتمية - خاضعة للتغيير[1].

* المقدمة الرابعة:

وهي أهم تلك المقدمات، فمن المعروف أن السياقات الروائية تقسّم علامات ظهوره الشريف لقسمين: حتمي، وغير حتمي[2]، فالعلامة التي يتأكد حصولها تُصنفها الروايات على أنها حتمية، والعكس بالعكس[3].

---

١ - محمد بن همام عن محمد بن أحمد بن عبد الله الخالنجي عن داود بن أبي القاسم قال كنا عند أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام، فجرى ذكر السفياني وما جاء في الرواية من أن أمره من المحتوم فقلت لأبي جعفر عليه السلام هل يبدو لله في المحتوم؟ قال نعم، قلنا له فنخاف أن يبدو لله في القائم، قال القائم من الميعاد، بحار الأنوار ج: ٥٢ ص: ٢٥٠.

٢- وهذا التقسيم إنما هو بلحاظاتٍ عدة، ومنها لحاظ الوقوع فالحتمي لابد وأن يتحقق، وغير الحتمي من الممكن أن لا يقع على أرض الواقع.

٣- يمكن أن أضيف على لحاظ التفريق بين العلامات الحتمية وغير الحتمية، أن الحتمية قابلة للتكرار وغير الحتمية لا تتكرر.

تنبيه:

في لسان الروايات التي تتحدث عن العلامات غير الحتمية لا توجد بها فواصل زمنية، على عكس الروايات التي تتحدث عن العلامات الحتمية، ففيها فواصل زمنية...

وهذا ما أريده هنا.

فالعلامات الحتمية عددها خمس علامات[1]، فههنا تذكر الفواصل الزمنية بينها في سياقها.

فتذكر الروايات على سبيل المثال أن الفارق بين العلامة الأولى وبين الثانية شهر، وبين العلامة الثالثة والرابعة ثلاثة أشهر مثلاً، كالرواية التي نصها «**نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً...**»[2].

ولكن هذا الأمر لا يوجد في القسم الآخر، وهي العلامات غير الحتمية، والتي منها مثلاً:

١- وهي (السفياني، اليماني، صيحة السماء، قتل النفس الزكية، خسف البيداء)، وبعض الروايات تعدها ستاً بالإضافة للخراساني.

٢- فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً، فيكون البأس من كل وجه، ويل لمن ناواهم، وليس في الرايات أهدى من راية اليماني، هي راية هدى، لأنه يدعو إلى صاحبكم»، بحار الأنوار، ج٥٢، ص٢٣٢.

١) خروج السيد الحسني الهاشمي.

٢) خسوف القمر ٢٥ شهر رمضان.

٣) كسوف الشمس ١٥ شهر رمضان.

٤) كثرة الأمطار في جمادى الآخرة.

٥) الموت الأحمر والموت الأبيض، وهلاك ثلثي العالم.

فقد يكون الفاصل الزمني بين العلامة الأولى والثانية ٤٠٠ عام، أو بين الثانية والثالثة ألف سنة، أو بين الرابعة و الخامسة عشرات الأجيال تتعاقب... وهذه المقدمة مهمة للغاية وهي أهم مقدمة من تلك الإثارة.

فقد تكون بين العلامة والأخرى عشرات أو مئات السنين، وعشرات الأجيال تتعاقب...

خلاصة الإثارة:

أن الروايات التي يقحمها البعض ويوظفها في تدعيم نظريته في تحديد زمن الظهور سواء - من جهة الزمن أو من جهة الحدث - لا تسعفهُ، وهي حجة عليه وليست له.

لأن نظريته قائمة على التنظير والتخمين، فإن كان بلحاظ السنة فلا توجد هذه المفردة في الروايات، وإن كان بلحاظ الجيل والحدث

فهما يتكرران من جهة، وإنهما غير دقيقين في تحديد الحُقبة الزمنية من جهة أخرى، ولأنهما نسبيان، كما مرّ في المقدمة الثالثة والرابعة من هذه الإثارة.

وحتى المنادين لذلك النهج، والقائلين بأننا نعيش في زمن الظهور، لا يجزمون في أنفسهم أننا نعيش فترة العلامات الحتمية، وكل ما في الأمر أنهم يأملون ويخمِّنون أنه زمن العلامات الحتمية، ولكنهم يدركون أننا في فترة العلامات غير الحتمية.

فلا معنى لتلك النداءات التي تظهر بين الحين والآخر منهم، فاحتمال وارد على أن تكون بين العلامة والأخرى سنوات وأجيال تتعاقب، فقد يكون الفاصل الزمني بين العلامة والأخرى ثلاثين عاماً أو مئة سنة أو أقل من ذلك أو أكثر... الله أعلم.

هذا لأن الحلقة الزمنية في العلامات غير الحتمية ليس مُصرحاً بها في الروايات.

أما الروايات التي يسردونها وفيها ذكر بعض التواريخ لا تسعفهم هنا لسببين:

* **السبب الأول:** أن الفترات الزمنية المذكورة فيها قابلة للتكرار،

فهي لمسميات أيام وأشهر فقط وليست سنوات[1].

* **السبب الثاني:** أن الحلقة الزمنية بين العلامة والأخرى مفقودة في العلامات غير الحتمية، والتي من المؤكد أننا نعيش فيها، فلا معنى لحصر ظهوره الشريف في زمن معين أو بجيل معين، ووقوعه بين أحداث محددة.

وعليه، فليس هناك مبرر منطقي للتّحْديد والتّخْمين المكرر عند كل حدث وخطب يقع.

والغريب أن بعض الكتّاب يحدد تواريخ وسنوات، وما أن تمضي تلك السنوات في خانة الماضي والتاريخ المُنصرم حتى يُعيد الكرة تلو الكرة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وكأن الله قد عهد إليه بعهود مؤرخه تتجدد في كل مرة، في حين أن توقيت ظهوره الشريف استأثره الله تعالى بعلمه، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «من وقت لك من الناس شيئاً، فلا تهابن أن تكذبه، فلسنا نوقت لأحد وقتاً».

وفي البحار «عن عمرو بن أبان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: اعرف العلامة، فإذا عرفت لم يضرك تقدم هذا الأمر أم تأخر...».

فهو كيوم القيامة من جهات عدة منها:

---

١ - فعليه تكون قابلة للتكرار، فيصادف الشهر المذكور في سياقات الروايات لليوم المذكور في أكثر من عام.

١- أن يـوم القيامـة وعـد إلهـي لابد مـن وقوعه، فكذلـك ظهوره لابـد منـه ولا محالة.

٢- وكـما أن يـوم القيامـة وعـد إلهـي مسـبوق بعلامـات وليـس بموعـد مذكـور، كذلـك ظهـوره الشريـف.

٣- وكـما أن يـوم القيامـة خطـب عظيم وجلـل وتعبر عنـه الآيات أنـه قريـب، كذلـك فقد تجـد الروايـات تعبر عـن ظهـوره الشريف أنه قريـب، هـذا لأنه خطـب عظيم.

فيجـب فهـم روايات قـرب ظهوره بالذهنية نفسـها التـي نفهم بها آيات قرب يـوم القيامة.

وأخيراً...

مـا جـاء في هـذه الإثـارة لا يتعـارض مع ترقـب ظهـوره الشريف بـين الحـين والآخر وهو مطلـوبٌ، ولكن الجـزم بظهـوره في زمن محدد أمـر غـير مقبول، كـما أنك يجـب أن تترقب قرب وقـوع يـوم القيامة أو المـوت في أي لحظـة، ولكن ليـس من الصحيـح تحديـده وتوقيته.

11

الإشارة الحادية عشرة

قُدسِيّةُ النّصّ الشّرعيّ

قدسيّة النّص الشّرعيّ

ملخص محاضرة ألقيتها بمقـر حـوزة العلمين بمناسبة
الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٢٠٠٩ م

التعاطـي والتعامـل[١] مـع النصـوص الشرعيـة بنمطيهـا - القرآني والروائـي - لا شـك أنـه يحتاج إلى آليـات وأدوات خاصـة بها ولا يخلو أيضـاً مـن عقبات، وهـذه العقبات -غالبـاً- ما يكون منشـؤها أمرين:

فهم القارئ لها أولاً ثم توظيفها ثانياً.

والكلام من جهتين:

* **الجهة الأولى**: النص نفسه بما هو.
* **الجهة الثانية**: مضمون هذا النص.

نـأتي للنمـط الأول وهـي النصـوص القرآنيـة التـي هـي المصـدر الأول للتشـريـع، ولا يواجه القارئ لها أدنى مشـكلة فيها بسـبب ثلاثة:

---

١ - ومـا أقصـده هنا مـن التعاطي مع النصـوص الشرعية، ابتداءً مـن قراءتها ووصولاً لاسـتخراج حكم منها.

١- وحدة النص[١].

٢- قطعية الصدور.

٣- الحصانة الإلهية.

هذه الأمور الثلاثة تعتبر ميزة وهي المانعة لوقوع أي مشكلة مع التعاطي بالنص القرآني، ولكن من الطريف في الأمر أن هذه الأمور الثلاثة نراها نفسها هي السبب المباشر لوجود أكبر عائق في التعاطي مع النمط الثاني - النصوص الروائية - فالقرآن الكريم قد كفانا مؤنة الاختلاف في النص بين القراء بعكس الروايات، وأيضاً كفانا مؤنة البحث - في وعن - صدوره بعكس الروايات، وكذلك كفانا مؤنة الاتهام بالتناقض بين مضامين آياته بسبب قدسيته.

بعكس ما نواجهه في النمط الروائي، فنضطر للمقارنة بين القراءات المختلفة له -إذا وجدت- كما نلجأ غالباً للاستغراق في البحث - في وعن- صدوره من المعصوم عليه السلام.

أضف لذلك الأمر الثالث وهي تلك الحصانة الإلهية وهي القداسة[٢]، ففي الجانب الروائي ضعيفة أو تكاد تكون معدومة عند البعض، بعكس ما للنص القرآني، وهذا ما سأركز الكلام فيه هنا بالخصوص.

١- صحيح على إنه توجد قراءات عدة للنص القرآني نفسه، ولكن القدر المتيقن أن الاختلاف لا يرقى لحد الفهم المتناقض بين القارئين له.

٢- وما أعنيه هي تلك الهالة من القداسة - التي فرضها النص القرآني على الإنسانية تجاهه، فلا شك أنه نص لا يأتيه الباطل ولا مجال للتناقض فيه أبداً.

إذن خلاصة ما سبق أن الأمور الثلاثة نفسها التي كانت السبب المباشر بالتسليم بما في القرآن، هي نفسها التي تدعونا للاستغراق والتوقف والتمعن بشأن النمط الثاني وهو الروائي.

نأتي **للنمط الثاني**: وهي النصوص الروائية إذ إنه كثيراً ما يتسرع القارئ لبعض منها بالحكم عليها بالرفض، وخاصة في حالات الجمع بين بعضها البعض لسبب أو لسببين:

* **الأول**: دعوى الغرابة.

* **الثاني**: دعوى التعارض.

فما أن يرى البعض رواية تخالف قناعاته، وفيها غرابة في مضمونها فإنه يرفضها ويضعها في خانة ما يسمى بالمدسوسات أو الإسرائيليات، وتارةً يرفضها لا لغرابتها، بل لأن ظاهرها يتعارض مع مضامين أخرى[1].

ولنبدأ بتوظيف الروايات، فطرح البعض للمرويات أو التسرع في الحكم عليها بالإسرائيليات أو المدسوسة، لمجرد أدنى ملابسة ككونها غريبة بدعواه ويرفضها العقل[2]، أو دعوى التعارض بينها وبين أدلة أخرى.

١- تتعارض مع ظاهر آية قرآنية أو ظاهر رواية أخرى.

٢- لا أقصد هنا تقبل العقل أو رفضه بالمعنى المنطقي كاجتماع النقيضين أو ما شاكل، وإنما أعني الاستيحاش وعدم الأنس النفسي.

أقول: ومناقشة هذه الدعوى بلحاظ نقضي[1]، فالقارئ الذي يطرح الروايات التي لا يتعقلها أو تتعارض مع غيرها من الآيات أو الروايات الاخرى بدعواه...فهذه الدعوى نفسها، والسبب الذي جعله يطرح الرواية موجودٌ، أين؟!

موجود في النص القرآني إن لم يكن أشدَّ، فنستطيع القول بأن القرآن الكريم يحتوي على حوادث أغرب بكثير مما في الروايات.

فمهما كانت بعض المرويات غريبة، فإنها لا ترقى لِغرابة ما يسرده لنا القرآن الكريم.

لنأتي أيها القراء لتطبيق أنموذجين لتتضح الصورة بشكل أجلى:

أنموذج ١: أشخاص استغرق نومهم ثلاثمائة وتسعِ سنين، وهم أصحاب الكهف.

أنموذج ٢: إنسان مكث ببطن حوت، وفي عمق البحار، وهي قصة النبي يونس عليه السلام، وكان من المحتمل أن يمكث في بطنه إلى يوم يبعثون لولا الرحمة الإلهية[2].

الآن لو جردنا هذين الأنموذجين من السياق القرآني، ووضعناهما

١- اللحاظ النقضي الذي يكون في قبال الحليِّ.

٢- وهنا فائدة: أقول هذا يلزم منه بقاء الظرف وهو(الحوت)، وبقاء المظروف وهو(النبي) إلى يوم البعث، فالغرابة هنا من جهتين. من جهة الظرف والمظروف.

في سياق روائي!

رأساً بلا مقدمات نحكم عليها بأنها أسطورة خرافية أو رواية موضوعة لا يتقبلها العقل والمنطق! أليس كذلك؟!

ولكننا مع غرابتها نتقبلها.

إذن ما الذي جعلنا نسلم بهذه الحوادث مع شدة الغرابة؟

فقط هو السياق، الذي يتمتع بالأمور الثلاثة السابقة وخاصة الأمر الأخير وهو (القداسة للنص القرآني)، وهو الدافع لعدم الاستيحاش منها سلفاً، مهما كانت درجة الغرابة فيها.

ولماذا نذهب بعيداً... بعض القراء عندما يقرأون تفاصيل هاتين القصتين في بعض المرويات يستنكرون بعضها لغرابتها، مع أن ما ينقله القرآن من الهيكلية العامة للقصة أغرب بكثير من تلك التفاصيل التي بالروايات[1].

١- من قبيل الرواية التي يرويها العلامة البحراني صاحب تفسير البرهان ج٦، ص٢١٣، وهي محاورة بين يهودي مع أمير المؤمنين عليه السلام تسرد تفاصيل بعض ما جرى في قصة أصحاب الكهف، وهي طويلة أخذنا موطن الشاهد [فقال اليهودي: يا علي، ما كان لون الكلب، و ما اسمه؟ قال علي عليه السلام: «يا أخا اليهود، أما لون الكلب فكان أبلق بسواد، وأما اسمه فكان قطمير، فلما نظر الفتية إلى الكلب، قال بعضهم لبعض: إنا نخاف أن يفضحنا هذا الكلب بنباحه فألحوا عليه بالحجارة، فلما نظر الكلب إليهم قد ألحوا عليه بالطرد أقعى على ذنبه، وتمطى ونطق بلسان ذلق، وهو ينادي: يا قوم، لم تردوني وأنا أشهد أن لا إله إلاالله،=

= وحده لا شريك له، ذروني أحرسكم من عدوكم،- قال- فجعلوا يبتدرونه، فحملوه على أعناقهم...» انتهى.

أقول: جزئية نطق الكلب بلسان يفهمه أصحاب الكهف، بعضهم يناقش في مصداق الرواية ويرفضها آخرون بسبب غرابتها، بينما يتناسون هيكلية القصة التي هي أغرب.

تنبيه: قد يردّ أحدهم بهذا... أين الغرابة في نطق الكلب، فالقرآن الكريم مليء بنطق العجماوات مثل ما حدث بين سليمان عليه السلام وبين النملة أو مع الهدهد...إلخ.

أقول: ليس الأمر كذلك فحادثة الكلب أمر مختلف تماماً، لأن النملة أو الهدهد حواراتهم مع النبي سليمان عليه السلام، لم تكن بهذا النمط، غاية ما في الأمر أن سليمان عليه السلام كان يفهم لغتهم وليس العكس، وإلا فكانت الحيوانات تتكلم وتتواصل بأسلوبها، والإعجاز ليس من جهتهم وإنما من جهة سليمان عليه السلام ، فليس كحادثة الكلب التي جاءت بها الرواية، فالكلب نطق بلسان أصحاب الكهف نفسه. فهناك فرق فتأمل.

لفت نظر: قد يعترض عليّ مُعْترض كيف قلت [لأن النملة أو الهدهد حواراتهم مع النبي عليه السلام...]، والمعروف والسائد بأن التعبير بضمير (هم) في [حواراتهم]، لا تصّحُ إلا للعاقل، فكيف أتيت بها لغير العاقل!

أقول: أولاً في الكبرى لا أسلم بها، فلا دليل على أن العاقل له ضمائر خاصة به، وإن كان قد اشتهر ذلك لكن (رّبَ مشهور لا أصل له)، فالسياقات القرآنية على خلاف ذلك، لذلك تجد بعض المفسرين عندما يأتي لتفسير بعض الآيات التي فيها ضمائر للعاقلة بدعواه وهي تتكلم عن العجماوات يخرجها تخريجاً بالغالبية، فيقول صحيح أن الآية تتكلم عن العجماوات والمخلوقات غير العاقلة، لكن الأغلب هم عقلاء، أو جاء بخطاب العقلاء للشرفية...إلخ، وهذا قابل للنقاش وسيأتي في بحوث أخرى.

مع أنه من الواضح أن الكلام ليس للغالب، ولا عن الغالب كقوله تعالى ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ**=

فما هو معيار قبول هذا النص ورفض ذاك؟ هل هو الغرابة؟

إذا كان المعيـار لتقبله هـذا ورفضه ذاك هو تقبل العقل واستئناسـه بها-ولها، فـما بالنا نسـلم بها في القـرآن الكريم مع أنـه أكثر غرابة؟

وعليـه يكـون الرفـض للنـص القـرآني أولى من هـذه الجهـة، نعم: بـكل بسـاطة يجـب أن يكـون المدار في رفض وطـرح بعـض المرويات ليـس هـو الغرابـة، وإنما أمـور أخرى.

وتـارةً يكـون الرفـض لبعض المرويات سـببه ليـس الغرابـة، وإنما منشـؤه هـو دعـوى التعـارض، وهـذا أيضـاً يجـري عليـه ما جـرى في سـابقه، فـيرد عليـه بالنقض.

حيـث إن كثـيراً مـن الآيـات القرآنية في ظاهرهـا أو حتـى في المراد منهـا يعـارض بعضـه بعضـاً لأول وهلـة، كـما يروى عـن ابـن الكواء [ابـن الكـوا] يخاطـب أمـير المؤمنـين عليه السلام بقولـه (وجدت كتـاب الله

= ﴿وَالشَّـجَرُ وَالـدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّـاسِ...﴾ ١٨الحج، فتعبيره بـــمَن للعاقل، ولكنه جاء بهـا لتغليب العاقـل أو للشرفية.

وهنـا أطـرح سـؤالاً: مـا هـو الغالـب في سـياق الآيـة السـابقة؟ المخلوقـات التـي في السـماوات والتي في الأرض والشـمس، القمر، النجوم، الجبال، الشـجر الدواب! هل هـذه المخلوقات أكثر أم الناس؟ طبعاً من البعيد القول بأن [مَن] هنا للتبعيض، أأغلبية تلـك؟ هـذا وأن سـلمنا بالكبرى، وإلا حتى الصغرى فلسـت مسـلماً بهـا، وهو كلامٌ مفصّل سيتم التطرق إليه في الجزء الثاني تحت مبحث (هُدْهُدَ سُلَيْمَانَ) إن شاء الله تعالى.

ينقض بعضه بعضاً، فقال عليه السلام: ثكلتك أمّك يا ابن الكوّاء! كتاب الله يصدّق بعضه بعضاً، ولا ينقض بعضه بعضاً سل عمّا بدا لك...

فما كان من ابن الكوا إلا أن يسرد مواطن الاختلاف المزعوم والإمام يجيبه ويزيل مواضع الالتباس[1].

وهو تعارض يتلاشى بمجرد المزيد من التمعن في موارد التعارض المزعوم بين آي القرآن الكريم، وخاصةً عندما نأخذ بعين الاعتبار اختلاف اللحاظات فيها.

بعض أهل العلم[2] لا توجد لديه أدنى مشكلة لقبول أي رواية، وهذا القبول ليس لعجزه عن التحقيق فيها، وإنما منشؤه هو أن تلك الحصانة الإلهية نفسها -أعني القداسة- التي جعلناها للسياق القرآني موجودة عنده للسياق الروائي، فالسياقات القرآنية لا تعتريها الأباطيل ويستحيل فيها التعارض فهي بالدرجة نفسها موجودة لديه في السياق الروائي، فلا مشكلة لديه من هذه الجهة.

وإن كانت هذه النظرة قابلة للنقاش، كما لا يخفى لأن الدعوى

١- والرواية طويلة، تجدها في كتاب الاحتجاج لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، ص ١٤٨.

٢- كأستاذنا المدرس الأول في حوزة العلمين العلامة الشيخ علي عبدالنبي مخلوق حفظه الله.

بالمساواة بين السياق القرآني والسياق الروائي بلحاظ التسليم دعوى فيها نظر، فتأمل.

الخلاصة:

ما أثرته هنا... ليس المراد منه الدعوة لرفع يد التحقيق في المرويات، وإنما مرادي أن لا يكون الدافع لرفض أي رواية بدعوى غرابتها أو تعارضها.

وإذا تم رفضنا لرواية أن يكون تحت معايير أخرى إضافية، وقد بحثها العلماء في مظانِّها.

أما إذا كان الرفض لها لمجرد الغرابة، فالقرآن أغرب.

وإذا رفضناها لتعارضها، فالقرآن في ظاهره كذلك.

فيكون السياق القرآني أولى بالرفض بهذين اللحاظين.

ولكنها- أعني إثارتي- مجرد دعوة للجميع بعدم التسرع في رفض أي رواية لمجرد الغرابة أو التعارض.

وخاصة أن بعض الروايات تحث على الاحتفاظ بالتراث الروائي الذي لا نتعقّله، ولم نجد له مخرجاً كرواية (ذروه في سنبله)، وكذلك لما خطب النبي ﷺ بمسجد الخيف «...**نَضَّرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا أَوْ بَلَّغَهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لا فِقْهَ لَهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**»، فلربما يأتي زمان أو شخص

يفهم من الرواية ما لم نفهمه، ويُخرّجها تخريجاً معقولاً ومقبولاً.

وهذا أمر وارد، وقد أثبتته التجارب عند تقدم الأجيال، فكم من رواية كان الناس يستوحشون منها قديماً، وقد ثبتت صحتها في وقت لاحق.

تقرأ في الجزء الثاني

أثير هنا مسائل عدة... بشكل سريع تمهيداً لما سيأتي في الجزء الثاني من كتاب إثارات قرآنية.

والغرض هو التأمل والتفكر في الآيات وفتح المجال للقارئ الكريم لمشاركتي فيما سيأتي.

قوله تعالى في الآية العشرين من سورة النمل:

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ...﴾ إلخ من الأحداث المليئة بالكثير... والكثير جداً من الإشارات التي لم أرَ أحداً من المفسرين تطرق إليها، وكان الأجدر بهم أن يعيدوا النظر فيها-

ومنها[1]، وهي أكثر من خمس عشرة إشارة في هذه الآيات.

وهنا أكتفي بطرح إشارات أربع كأنموذج سريع:

- النبي سليمان عليه السلام سمع نداء النملة الموجّه لبقية النمل، كما سمع خطاب الهدهد الموجّه له... **الآن عقلاً**... أيهما أظهر في الإعجاز! قضية سماعه لخطاب النملة أم مفردة سماعه لخطاب الهدهد؟[2]

مع ذلك سيدنا سليمان عليه السلام ركّز على قضية (منطق الطير) لماذا الطير؟! وفي القصة القرآنية، وكذلك في كثير من المرويات تكلم مع غير الطير... فلماذا ركّز الكلام على الطير بقوله ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ**...﴾[3] مع أن الله أعطاه القدرة على مخاطبة كثير من العجماوات؟! وأكثر من هذا سيأتي تفصيله في الجزء الثاني من إثارات قرآنية.

١- وهي كفيلة بتأسيس مفاهيم جديدة، فضلاً عن تصحيح بعض الجزئيات والمسلّمات العقلية، وفتح آفاق واسعة جداً، فقط عند التمعن في مفردات هذه الآيات.

٢- طبعاً، وبلا شك سماعه لخطاب تلك النملة أظهر وأبين للإعجاز من سماعه لكلام الهدهد، لأن نداء النملة لم يكن بالمستوى الذي تسمعه الأذن البشرية، خلاف خطاب الهدهد الذي كان أمامه، ثم تداخل الأصوات والضجيج لم يمنعه من سماع ندائها...و...و...و...وفروق متفاوتة جداً بين الحدثين، كل هذه الأمور وغيرها تجعل الإعجاز في قضية النملة أشد وضوحاً، فلماذا ركّز على الطير؟

٣- سورة النمل: الآية ١٦.

■ سـؤال يتـم طرحـه بـين الحـين والآخر...هـل يسـتحق غيـاب الهدهـد عـن موعـده كل هـذا التهديـد والوعيـد بالذبـح أو العـذاب الشـديد؟[1]

■ هـل الهدهـد نقـل للنبي سـليمان عليه السلام مجرد مشـاهد لمـا رآه، أم أنـه نقل لـه نتائـج؟[2]

■ في الغالـب الأعـم -كـردَّة فِعـل- عندما يأتيك شـخص بخبر مـا... وتريـد أن تتأكد مـن مدى مصداقيته، سـواء أكان شـكّك متعلقاً

---

١ - في بعـض الروايـات أن مـا يقصـده من نـوع العذاب هـو جعل الهدهـد يعيش بين أصنـاف أخرى ليسـت مـن طباعه، فهذا بالنسـبة لـه عذاب وشـديد جداً.

٢ - فمحتوى ما جاء الهدهد به خبران:

■ الأول: إن هناك ﴿امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ ...إلخ.

■ الثاني: إنها هي وقومها ﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾...إلخ.

فهـل نقل مشـهد أن امرأة جالسـة عـلى عرش وتأمرهـم فَيأتمرون، وتنهاهـم فينتهون، ونقـل لـه أنهـم يقرّبـون القرابين للشـمس حين غروبهـا، وينحنـون لها عنـد شروقها! والنبـي سـليمان عليـه السـلام هـو الذي اسـتنتج مـن الأول أنهـا تملكهم، ومـن الثاني أنهـم يسـجدون للشـمس؟ أم أن الهدهـد نقل للنبـي عليه السـلام نتائج ما شـاهده؟ فقال عما شاهده أنها تملكهم في الأولى، وأنهم يسجدون للشمس في الثانية؟

بالخبر[1]، أم بالمُخبِرِ[2]، في كلا الحالين لن ترسل الشخص نفسه[3].

الآن...عندما نقل له الهدهد ما رآه، قال النبي سليمان عليه السلام له: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[4] أي أن شكّه كان متعلقاً بالمخبر[5]، فكيف يرسله مرة أخرى، فقال مباشرةً: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي﴾[6]، فلابد أن هنالك حلقة مفقودة في التفاسير، فما هي؟

---

١ - كأن يكون الخبر غير صحيح ولم يقع في الخارج.

٢ - كأن يكون كاذباً، أو ملتبساً، أو غير دقيق بوصفه؛ فتشك بأن وصفه للحدث غير منضبط.

٣ - أو على الأقل سترسل معه من يرافقه.

٤ سورة النمل: الآية ٢٧.

٥ - وعلى كلا التقديرين كما مر بالخبر أم بالمخبر كان الوضع الطبيعي أن لا يرسله بل يتأكد بطرق أخرى.

٦ - قد يقال: إن الأمر طبيعي، فهنا لابد من التقدير بأمر محذوف، أي بعد التحقق والتدقيق في ما جاء به الهدهد، ثم أرسل معه كتاباً، فلا حاجة للتفصيل، وقد تكون طريقة التحقق ليست بتلك الأهمية فنقلت لنا القصة ما هو أهم، وهو أن سليمان عليه السلام قد تحقق فعلاً وبعدها رتب أثراً بأن أرسل معه كتاباً...إلخ الحدث.

أقول: هذا كلام جيد بحد ذاته وخاصةً أن هذا المقدار من البيان يبرز قيمة سلوكية راقية، بأنه يجب أن نتوقف قبل اتخاذ أي قرار، فحتى لو كان الخبر من جهة موثوقة فإن ذلك لا يبرر العجلة في اتخاذ القرار، فلابد من التحقق والتريث، ولكنه توجيه غير صحيح عندي، لأنه تبين من التمعن في السياق القرآني ككل أن هناك أمراً مهماً للغاية، ففرق بين (**الحدث والحديث في القرآن الكريم**)، وهذه قاعدة جديدة وضعتها في علم التفسير، وسيأتي الكلام بشأنها في الجزء الثاني من الكتاب، وبناءً على هذه القاعدة لا يمكن أن نتصور أن هناك حذفاً وتقديراً في=

انتظروهـا بالجـزء الثاني...

والكثير من نمط هذه الإشارات.

=كلام النبـي سـليمان عليه السلام، وإنـما هـو كلام متصـل، فليـس هنـاك فاصـل بـين قوله ﴿سَـنَنظُرُ أَصَدَقْـتَ أَمْ كُنـتَ مِنَ الْكَاذِبِـينَ﴾ وبين ﴿اذْهَـب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِـهْ إِلَيْهِمْ﴾، إلا فعـل كتابـة الكتـاب والـذي لا علاقـة لـه بـما نحن بصـدده وهـو: هل تحقـق فعلاً أم لا؟ وعـلى تقديـر الأول، أنـه فعـلاً تحقـق- غايـة ما في الأمـر أن الآية لم تـسرده لنا- ماهـي طريقـة تحققـه ونظـره في الأمر؟ وهـذه الفرضيـة التي يسـلِّم بها المفـسرون غير صحيحـة وقابلـة للنقـاش... كيـف وما هـو الصحيـح البديل لهـذه الفرضية، سـيأتي عليـه الـكلام القاطـع في الأبحاث القادمـة إن شـاء الله تعالى.

الخاتِمَة

بعد هذه الجولة من التأملات السريعة بين معالم بعض آي الذكر الحكيم ؛ أسأله سبحانه أن يجعلنا من حملة القرآن ومن المتدبرين فيه، وممن قال بحقهم النبي ﷺ : «**لا يعذِّب الله قلباً وعى القرآن**».

وأن يكتب لنا بكل حرف أجرَه، فإنْ أصبتُ فمِن الله وإنْ أخطأتُ فمن نفسي، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

حسين آل عصفور

ذو الحجة ١٤٣٦م

البحرين

﴿بحوث أخرى مخطوطة للمؤلف﴾

١- كتاب بعنوان «**مأساة الطفِ بين الدافع والناتج**».

٢- سورة يوسف بمنظور مختلف «**مناقشة مع صاحب الميزان في مجلدين**».

٣- إثارات قرآنية (الجزء الثاني) ويحتوي على بحوث منها:

أ. بين المعنى والمراد في السياق القرآني.

ب. إقحام معاني الآيات.

ج. النبي موسى والخضر عليهما السلام.

د. سليمان عليه السلام والهدهد.

هـ. آيات قرآنية يُساء فهمها.

و. علاجات اجتماعية بتأملات قرآنية.

ز. إشارات في قوله سبحانه ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾.

ح. يوسف والمَلِك.

ط. في رحاب قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾.

ي. العمل الصالح في المنظور القرآني.

ك. مِمَّ خُلِقتِ الملائِكة؟

للتواصل مع المؤلف: حسين آل عصفور

Email: h.alasfoor74@gmail.com

Facebook: Hussain Al asfoor

Twitter: Hussain_asfoor

محتويات الكتاب

الإهداء ٥

حول مشروع حوزة العلمين ٧

مقدمة الطبعة الثانية ١٣

الإثارة الأولى: فائدة بمثابة قاعدة في التفسير ١٩

الإثارة الثانية: أحسن القصص ٤٣

الإثارة الثالثة: فائدة تربوية في «لاتقصص رؤياك» ٥٣

الإثارة الرابعة: يوسف بين القتل والطرح ٥٧

* التفريع الأول: تغيير فكرة القتل ٦٧

* التفريع الثاني: دافع يعقوب للتلقين: ٦٩

* التفريع الثالث: علم يعقوب بالمكيدة ٧٧

* التفريع الرابع: كلامٌ في كيد الشيطان ٧٩

الإثارة الخامسة: عذرُ الذئب ٨٣

الإثارة السادسة: سنيُّ القحط ٩٥

الإثارة السابعة: المتاع ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ...﴾ ١٠٥

* التفريع الأول: عطف الإخوة على بنيامين ١١١

* التفريع الثاني: إمتناع يوسف عن كشف هويته ١١٤

* فائدة (كلية) ١١٥

الإثارة الثامنة: يعقوب وابيضاض العين..... ١٢١
الإثارة التاسعة: وقفات مع آية الغيبة..... ١٣١
الإثارة العاشرة: أنت الآن في عصر الظهور..... ١٣٩
الإثارة الحادية عشرة: قدسية النص الشرعي..... ١٦٣
تقرأ في الجزء الثاني..... ١٧٣
الخاتمة..... ١٧٩
محتويات الكتاب..... ١٨٢

إثاراتي تلك ....

والقرآنية منها بالخصوص قد تجدني أناقش
ما دأب عليه المفسرون إما على صعيد النتيجة
أو الاستدلال أو كليهما.

وهذا لا يعني تجاهل أو مصادرة نتاجهم، فكل
الإجلال لمقاماتهم وجهودهم لتفسير
القرآن الكريم.

ولكن أليس القرآن كتابًا كريمًا في عطائه ومناهله
متاحة وأبوابه مشرعة لكل متدبّر!

وأنا إذ أقدم للقارئ عصارة هذا التأمل
أسأله سبحانه أن يقضي القارئ
وقتًا مليئًا بالفائدة ومتعة المعرفة.

والله الموفق

المؤلف

الطبعة الثانية
منقحة ومزيدة

إثارات قرآنية

حسين الشيخ أحمد آل عصفور

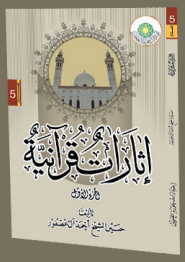

إصدارات حوزة العلمين

1

1433هـ - 2012م
بحوث فقهية ج1

2

1435هـ - 2014م
التذكية بالحديد

3

1436هـ - 2014م
تيسير الصرف

4

1436هـ - 2015م
بحوث فقهية ج٢

5

1436هـ - 2015م
إثارات قرآنية ج1

تصميم الغلاف: الكليم جرافكس
+973 36778827
mohd.he@gmail.com

دار القلم - مملكة البحرين
+973 32219456
dalqalam@batelco.com.bh